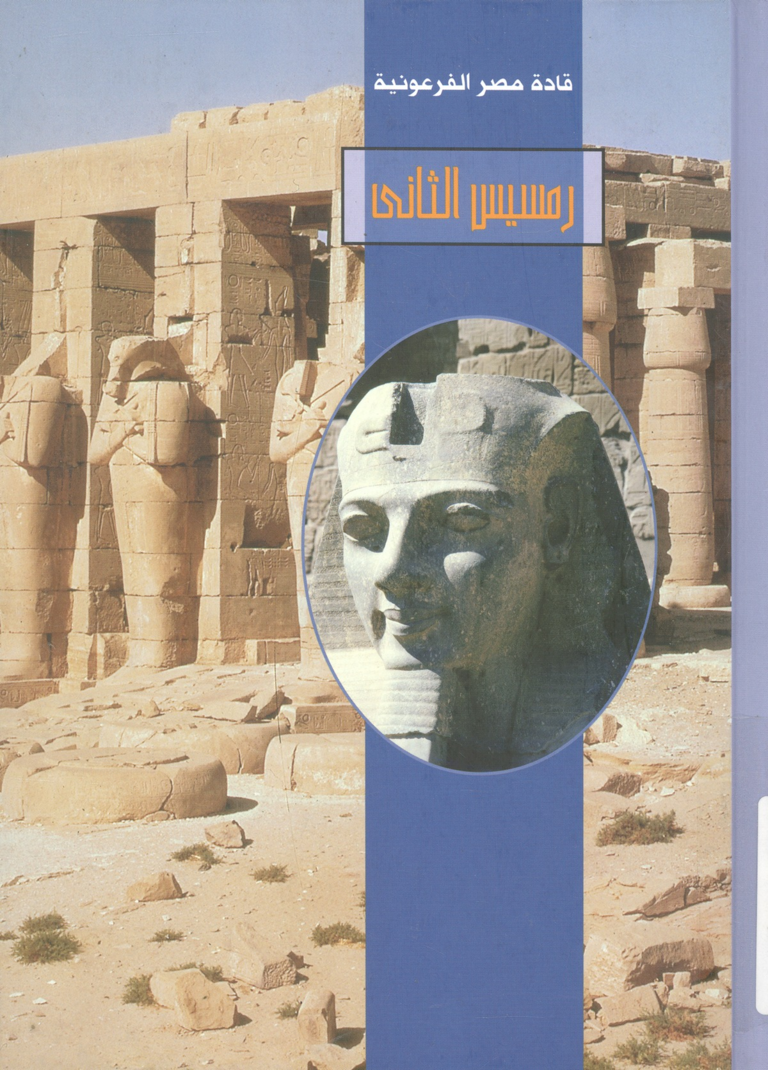
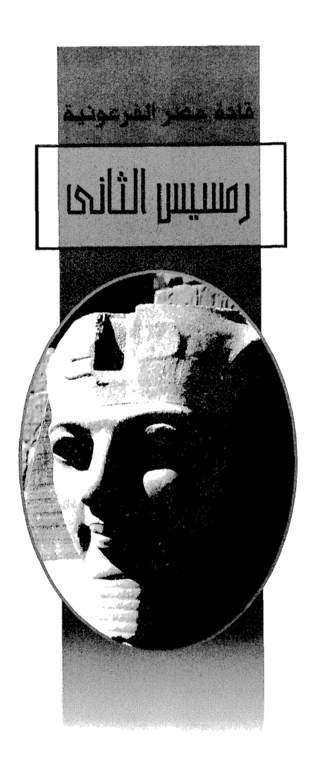

قادة مصر الفرعونية
رمسيس الثانى





دار الياس العصرية للطباعة والنشر

First published in English in the United States of America by
The Rosen Publishing Group, Inc.,
29 East 21st street, New York, NY 10010

الطبعة العربية:

ELIAS الياس

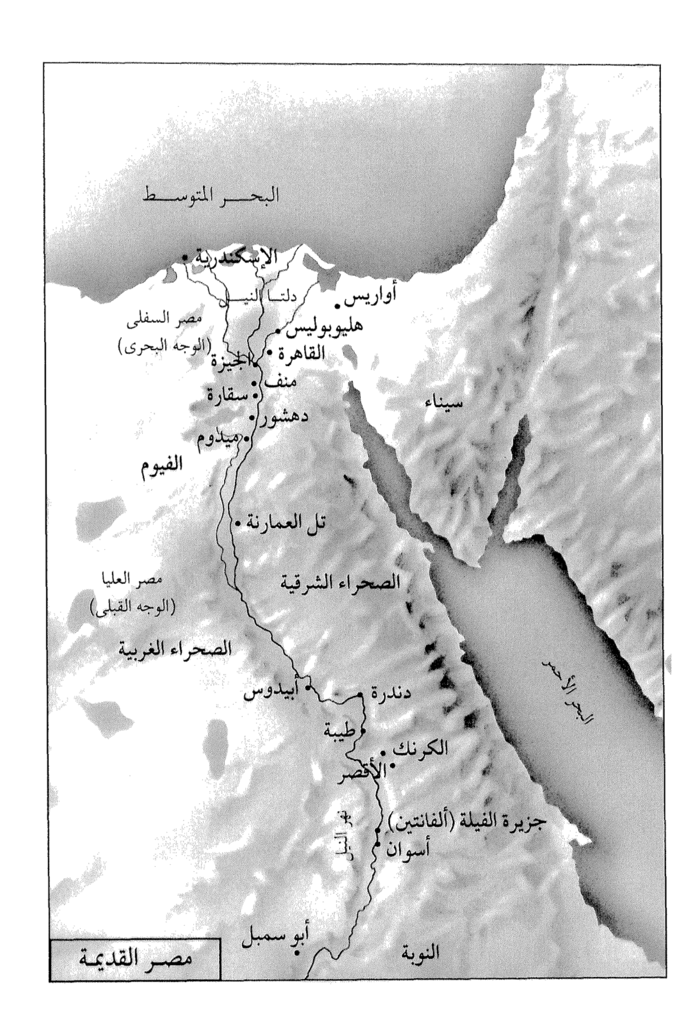
©دار الياس العصرية للطباعة والنشر ٢٠٠٧
١ شارع كنيسة الروم الكاثوليك. الظاهر. القاهرة. ج.م.ع.
ت: ٢٥٩٣٩٥٤٤ - ٢٥٩٠٣٧٥٦ (٢٠٢)
فاكس: ٢٥٨٨٠٠٩١ (٢٠٢)

www.eliaspublishing.com

ترجمة: اسحاق بنيامين
رقم الإيداع بدار الكتب: ١٦٦٦٧ / ٢٠٠٧
الترقيم الدولي: ٥ - ٢٤٠ - ٣٠٤ - ٩٧٧

المحتويات

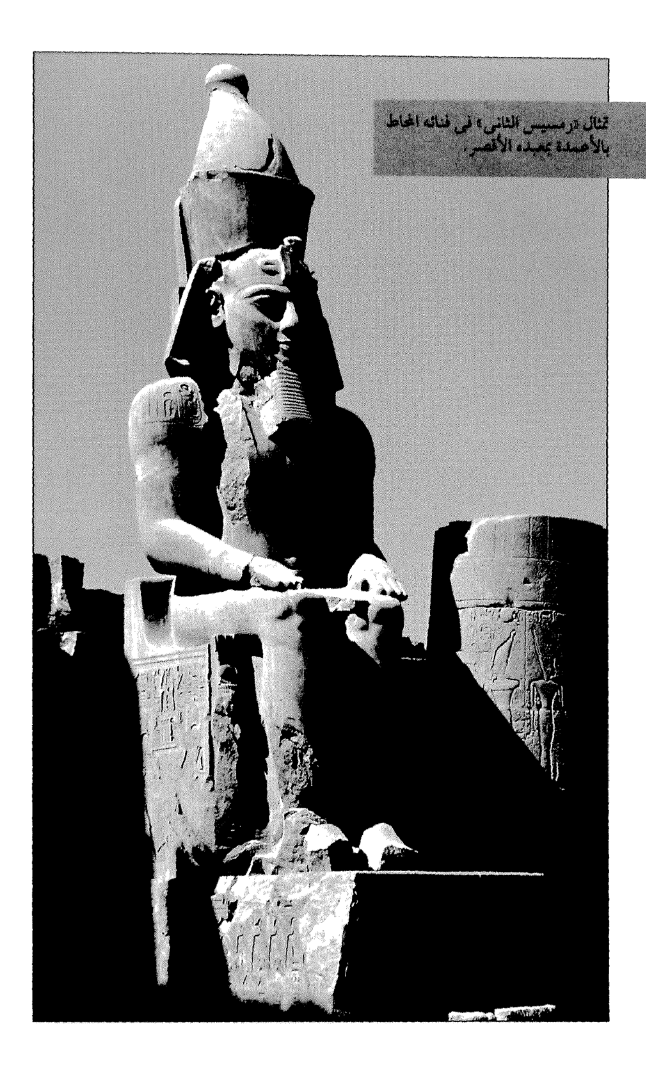
المقدمة		5
الفصل الأول	أسرة الرعامسة	9
الفصل الثانى	الأمير رمسيس	28
الفصل الثالث	الملك رمسيس	37
الفصل الرابع	معركة قادش	48
الفصل الخامس	حدود الإمبراطورية	69
الفصل السادس	الحياة العائلية	87


البحـــر المتوســـط
الإسكندرية
دلتـا النيـل
أواريس
مصر السفلى
(الوجه البحرى)
هليوبوليس
القاهرة
الجيزة
منف
سقارة
سيناء
دهشور
ميدوم
الفيوم
تل العمارنة
مصر العليا
(الوجه القبلى)
الصحراء الشرقية
الصحراء الغربية
البحر الأحمر
أبيدوس
دندرة
طيبة
الكرنك
الأقصر
جزيرة الفيلة (ألفانتين)
أسوان
أبو سمبل
النوبة
مصـر القديـمة

المقدمة

«رمسيس الثانى» هو ثالث ملوك الأسرة التاسعة عشرة، وقد تولى الحُكم بين سنتى 1279 و1213ق.م، إبَّان عصرٍ صار معروفًا بالدولة الحديثة، وذلك عندما كانت مصر فى أوج قوتها؛ فلقد ازدهرت البلد فى ظِل حُكمه، كما أنها مرَّت فى عهده بحقبة كانت تنعم فيها بالاستقرار فى الداخل، والخارج أيضًا، وبنهاية فترة حُكمه التى دامت لمدة ستة وستين عامًا، أضحى اسمه ذائع الصيت فى جميع أرجاء العالم القديم.

وقام «رمسيس» بتشييد العديد من الآثار فى جميع أنحاء مصر، والنوبة الجنوبية (السودان فى الوقت الحاضر)، ولقد فاق فى ذلك فراعنة مصر الآخرين، كما أنه وضع يده كذلك، على مبانى الفراعنة السابقين، وتماثيلهم، وأعاد تسميتها كما لو كان هو الذى قام بتشييدها، وبنهاية فترة مُلكه، كانت تماثيله الضخمة تعبد فى جميع المدن الرئيسية بمصر،

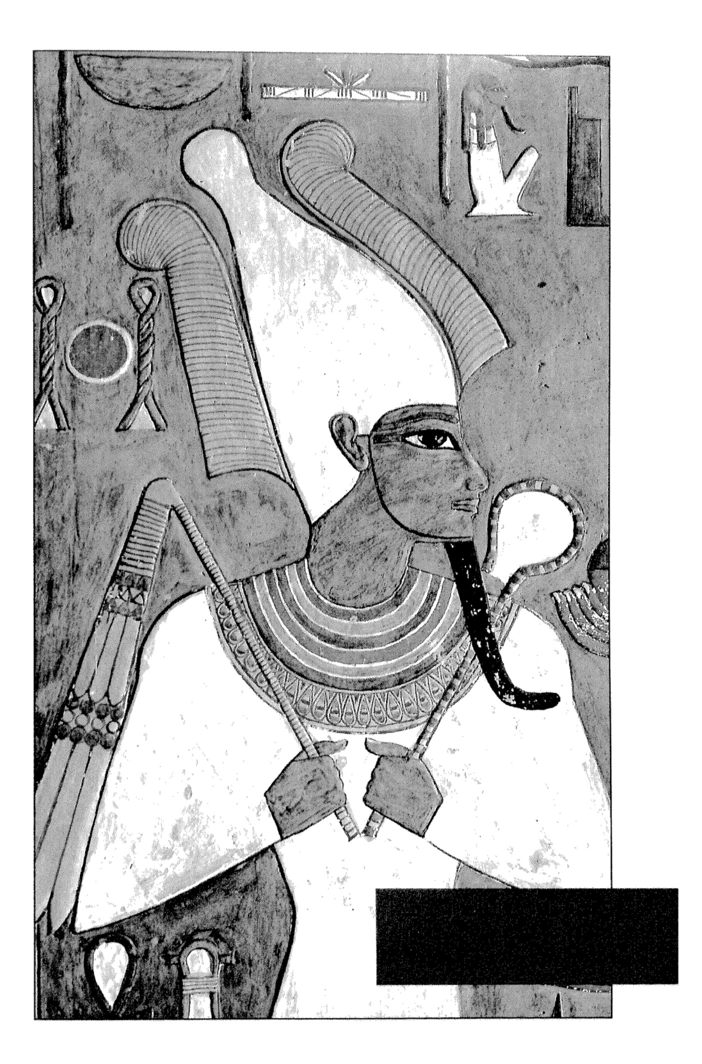


تمثال «رمسيس الثانى» فى فنائه المحاط
بالأعمدة بمعبده الأقصر.

وكان له زوجات عديدات، وما يقرب من مائة من الأولاد، بعضهم معروف لنا اليوم عن طريق النقوش والرسومات التوضيحية، فضلاً عن مقابرهم التى تم اكتشافها.

لقد كان أحد أهداف «رمسيس» فى المقام الأول، هو أن يصير ذائع الصيت، وأن يتذكره الناس على أنه مُحارب عظيم. كانت صورة المقاتل الشُجاع الذى يذود عن مملكته بمفرده، هى إحدى الصور التى كانت تراود «رمسيس»، حتى فى سنى عمره المتقدمة، ومن ثمَّ، فإن جدران معابده تغطيها لوحات تُمثل حملاتٍ عسكرية ناجحة، وتُظهر هذه اللوحات الملك وقد خرج على رأس قواته إلى المعركة، وإذا به يدحر العدو فى مواجهة شخصية معه.

لقد كان «رمسيس» قائدًا عسكريًّا، قاتل بشجاعة جيوش الغزاة، وخلّص مصر من أعدائها، هذه هى قصته، وهى قصة مستقاة من السجلات المصرية، والتاريخ يقدّم لنا صورةً لقائدٍ مُفعم بالنشاط والقوة، جعل من وطنه أُمةً تنعم بالرخاء والاستقرار.



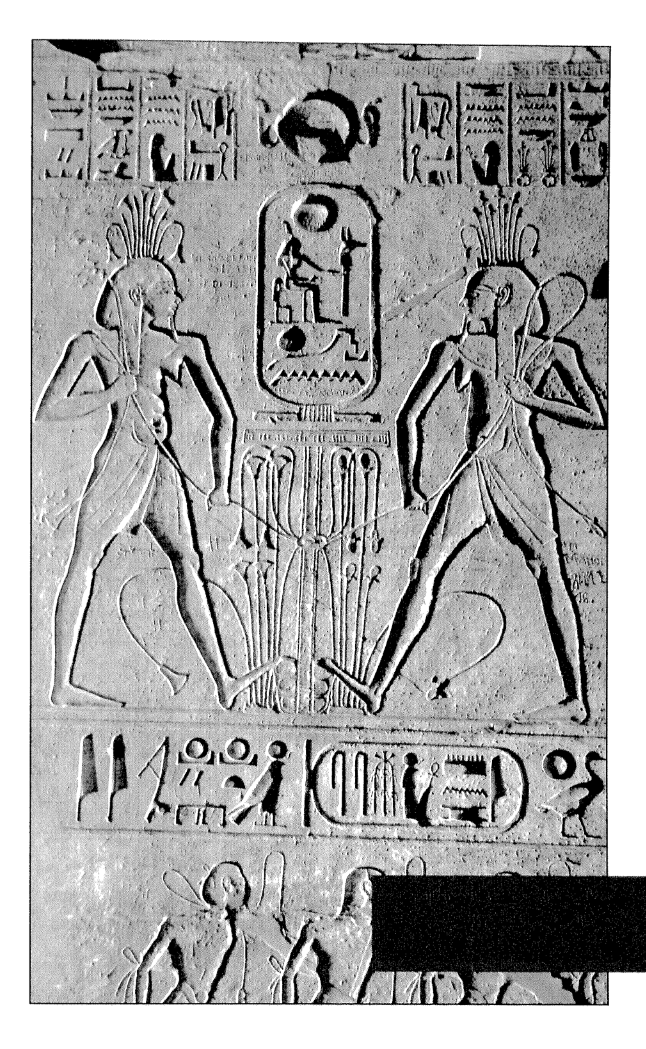
[redacted]

أسرة الرعامسة

لقد كان «رمسيس الأول»، وهو جَد «رمسيس الثانى»، قائدًا ووزيرًا إبَّان حُكم «حورمحِبْ»، آخر ملوك الأسرة الثامنة عشرة فى مصر القديمة، وكان يحمل لقب نائب ملك مصر العليا والسُفلى، تمامًا كما كان صديقه «حورمحِبْ» من قَبل، ويبدو أن انتقال السُلطة كان قد تم بسلام.

ولم يكن لـ«حورمحِبْ» أى أولادٍ من نسلهِ، ومن المؤكد أنه تراءى له أن أكثر الخيارات أمنًا، وأكثرها معقولية، هو أن يصبح «رمسيس الأول» هو الفرعون القادم، وقد انعكست أهميته فى قائمة المهام والوظائف التى كان يقوم بأدائها لـ«حورمحِبْ»: رئيس رماة القوس، رئيس الأختام، ناظر الخيول، قائد مَركبة الملك، قائد جيش حاكم القُطرين، رئيس كهنة جميع الآلهة، ناظر مصبات النيل، وولى عهد القُطر بأسره.

وأما «حورمحِب» نفسه، فإنه لم يرث العرش بالطريقة الطبيعية -أى اعتلاؤه عقب وفاة أبيه- فقد



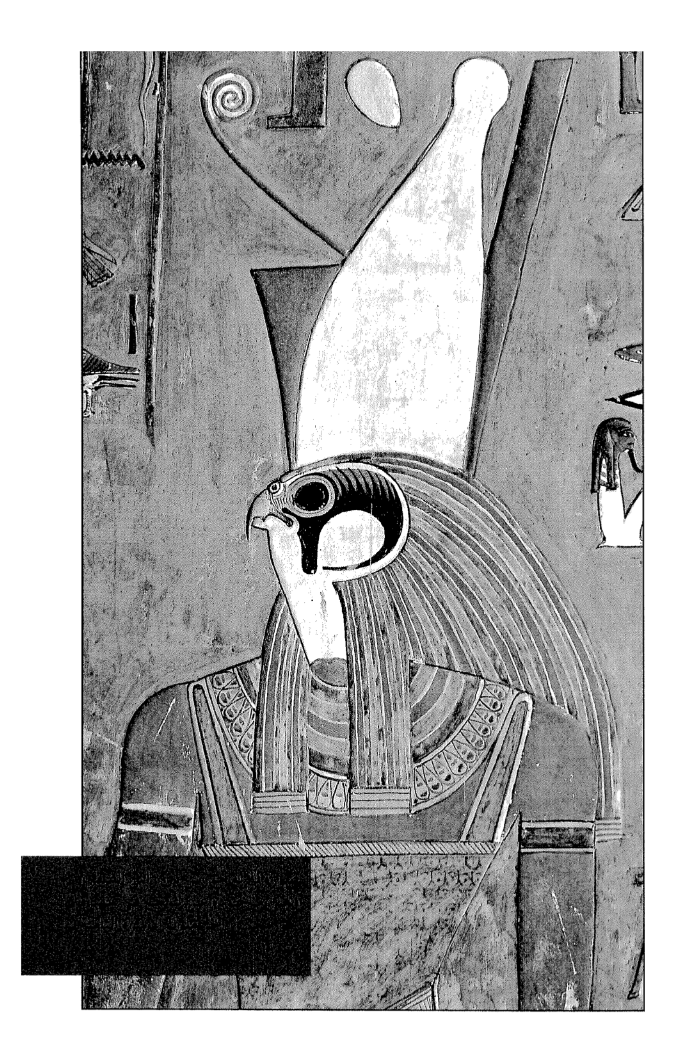
كان قائدًا ناجحًا عندما قام سلفه، الملك الذى لم يكن له أولاد أيضًا، بتعيينه كى يكون الفرعون القادم، ويُبَيّن تعيين هذين المَلِكين مدى أهمية المناصب العسكرية فى ذلك الوقت، وعندما كان «حورمحِبْ» فى الستينيّات من عمره، و«رمسيس الأول» فى الخَمسينيات من عمره، تم تعيين «رمسيس» كوريث للعرش، وكان «سيتى»، أكبر أبناء «رمسيس الأول»، قد بلغ سن الرُشد بالفعل فى ذلك الوقت، وكان جنديًّا متزوجًا بـ«تويا»، التى جاءت هى كذلك من عائلة عسكرية، وكان لهما على الأقل بنتان، فضلاً عن ابن، يُدعى كذلك «رمسيس»، وكان هذا الأمر أحد العوامل الإضافية التى أثرت فى قرار «حورمحِبْ» بجعل «رمسيس الأول» خليفةً له، ذلك أن «رمسيس الأول» لم يكن له أبناء فحسب، بل أحفاد أيضًا يمكنهم أن يُصبحوا ورثةً للعرش، كما يمكنهم مباشرة مهام الأسرة المالكة الجديدة.

ووافت المَنيَة «حورمحِبْ» سنة 1295ق.م. وكان أول الأعمال التى قام بها «رمسيس الأول» كملك، هو الإشراف على طقوس الدفن السرية الخاصة بـ«حورمحِبْ» فى وادى الملوك، بالبَر الغربى للنيل بالأقصر. شرع «رمسيس الأول» فى الإعداد لمقبرته هو كى يتم تشييدها بالقرب من مقبرة صديقه «حورمحِبْ» بوادى الملوك، فضلاً

عن إقامة معبد تذكارى فى السهل الفيضى أسفل الوادى حيث يمكن أن تُقَدم فيه القرابين الطقسية عقب وفاته.

وبينما كان ما يزال فى الأقصر، قرر «رمسيس الأول» أن يُظهر تأثيره كحاكم جديد، فلقد كان أهم آلهة مصر إبَّان الدولة الحديثة هو «آمون رع»، وكان المركز الرئيسى لعبادته على مستوى القطر، هو معبد الكرنك بالأقصر، ومن ثمَّ، وضع «رمسيس الأول» وابنه «سيتى» خطةً لتشييد بهو رائع يتم إلحاقه بهذا المعبد وهو عبارة عن بهو ضخم ذى أعمدة هائلة، أُطلق عليه «بهو الأعمدة»، ويقع بين مدخلى البوابتين الضخمتين، كما قرر أن يعيد زخرفة جدران المدخلين، فضلاً عن الأسقُف، وأعمدة البهو، بصور لطقوس المعبد، واسمى «رمسيس» و«سيتى».

وبعد بدء مشروعات البناء المختلفة هذه، أبحر «رمسيس الأول» و«سيتى» بعد ذلك شمالاً عبر النيل للعاصمة منف (بالقرب من القاهرة فى وقتنا الحاضر)، ثم رجع «سيتى» إلى الجيش، حيث كان يتولى تدريب القوات، كما خرج كذلك على رأس حملة عسكرية صغيرة إلى كنعان (فلسطين والأردن حاليًّا)، ذلك أنه قُرب نهاية الأسرة الثامنة عشرة، فقدت مصر العديد من أراضيها فى الشرق الأدنى- فلسطين، والأردن، ولبنان، وسوريا- وكان أحد طموحات



[redacted]

«سيتى»، هو استعادة الإمبراطورية المصرية السورية، كما أرسل «رمسيس» كذلك إمدادات جديدة إلى أحد الحصون الموجودة على الطرف الآخر من إمبراطوريته بالنوبة الجنوبية، وذلك لطمأنة القوات المتمركزة هناك بأنهم غير منسيين.

وعلى خلاف ملوك الأسرة الثامنة عشرة، الذين جاءت عائلاتُهم أصلاً من الأقصر، جاءت عائلة «رمسيس» من الركن الشمالى الشرقى لدلتا النيل، وكان لـ«رمسيس الأول» بيت صيفى لتمضية الإجازات فيه، بالقرب من «أواريس» التى كان يعيش فيها ملوك الهكسوس إبَّان الفترة الوسيطة الثانية، وعادةً ما كان المصريون يشعرون بولاءٍ خاص نحو المدن، أو المناطق التى ولدوا فيها، ومن المُرَجَّح أن «رمسيس» قد عقد العزم على الاحتفال بتنصيبه فرعونًا، وذلك بتشييد معابد أو قصور خاصة فى هذه المنطقة، غير أنه بعد حوالى عام واحد فى منصبه، داهمه المرض، ومن ثمَّ، قام بتعيين ابنه «سيتى» كنائب على العرش، وبعد مرور عام واحد فقط وأربعة أشهر من حُكمه لمصر، وافت «رمسيس الأول» المنية سنة 1295ق.م بمنف.

سيتى الأول

أصبح الآن الملك «سيتى الأول» مسئولاً عن تحنيط ودفن أبيه، ولسوء الحظ، لم يكن أمام العمال والفنانين وقتٌ كافٍ للانتهاء من مقبرته بوادى الملوك، ولذا فقد تم الانتهاء بعجلةٍ من بناء نموذج مُصغر جدًّا لمقبرة «رمسيس الأول»، وذلك إبَّان الأربعين يومًا المُخصصة طبقًا للتقاليد المتعارف عليها، لإتمام التحنيط.

صورة لوجه سيتى الأول، والد رمسيس الثانى، وهى مأخوذة من التابوت الخشبى لسيتى.

أبحر «سيتى الأول» وابنه «رمسيس الثانى»، الذى كان فى حوالى الثامنة أو التاسعة من عمره حينئذ، من منف إلى الأقصر جنوبًا بصحبة الجثمان المُحَنط لـ«رمسيس الأول»، واصطف الناس على ضفاف النهر، لمشاهدة مرور الملك الراحل، وإلقاء نظرة على حاكمهم الجديد، وعند الوصول إلى البَر الغربى بالأقصر، تمَّ إنزال جثمان الملك من على متن الزورق الملكى، وذلك على أصوات الصلوات الطقسية التى يشدو بها الكهنة، والعويل الحار من قِبَل النساء

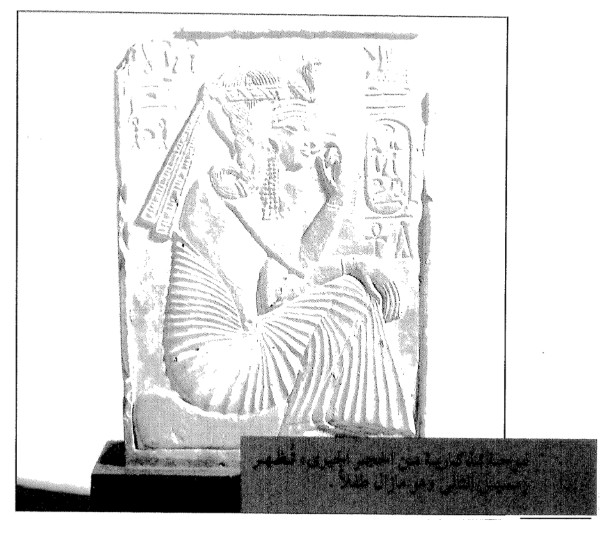
المأجورات بصفتهن نائحات (ندّابات) محترفات، وبعد ذلك، يمضى المركب من ضفاف نهر النيل حتى يصل إلى المعبد التذكارى لـ«رمسيس الأول»، ومن ثمَّ ينتقل سرًّا إلى مقبرة الملك الخفية بوادى الملوك، وهنا تقام بعض الطقوس الخاصة من قبَل «سيتى» والكهنة المصاحبين، على جثمان أبيه، وذلك قبل أن يوضع الجثمان المُحَنط فى تابوته، وقبل إغلاق المقبرة بإحكام.

وبعد الانتهاء من إجراء هذه الطقوس، انتهز «سيتى» الفرصة لانتقاء موقع لمقبرته بوادى الملوك، ومن ثمَّ فقد أصدر أوامره للعمال والفنانين، للشروع فى نحتها فى باطن الجبل، كما شرع كذلك فى تشييد معبده التذكارى بالبَرِّ الغربى، وقام كذلك، هو والطفل «رمسيس»، بزيارة المعبد الكبير لـ«آمون» بالكرنك، وذلك لتَفقُد أعمال البناء ببهو الأعمدة، وعندئذ أصدر «سيتى» أوامره بنقش اسمه فى كل مكان، وأنه ينبغى أن يُطلق على البهو اسم «سيتى الأول الجندى الصالح فى ميدان آمون»، كما قرر كذلك أن تُغطَّى الواجهات الخارجية للجُدران، التى سوف يشاهدها عدد أكبر من الناس، بمشاهد لـ«سيتى الأول» وهو يُلحق الهزيمة بجميع أعدائه فى المعارك.

وفى طريق العودة إلى منف، توقف «سيتى» والصبى «رمسيس» فى «أبيدوس»، التى كانت مركز عبادة «أوزيريس»، الذى كان أهم

آلهة الحياة الأخرى، وهنا أصدر «سيتى» تكليفًا بتشييد معبدٍ غير عادى، يضم بين جنباته سبعة محاريب منفصلة للعبادة، وذلك لعبادة جميع آلهة مصر المهمة، وسوف يحتوى هذا المعبد كذلك على قائمةٍ بأسماء جميع ملوك مصر السابقين، منقوشة على جدرانه، ويشتهر هذا المعبد الآن بأنه يشمل بعض أجمل النقوش التى ترجع إلى مصر القديمة، وفى الوقت نفسه، أصدر «سيتى» أوامره بتشييد معبد أصغر حجمًا لأبيه «رمسيس الأول»، وآخر أكبر قليلاً لابنه «رمسيس الثانى»، وعند عودته إلى العاصمة، أصدر «سيتى» أوامره بإجراء التحسينات فى معبد الإله «بتاح»، إله منف، ومعبد إله الشمس، «رع»، بهليوبوليس (عين شمس)، ولم يَنْسَ «سيتى» المدينة التى شهدت مسقط رأسه، فأصدر أوامره بتشييد قصر صيفى شرق الدلتا، وزيّنه بالآجر الذى يجمع بين اللونين الأزرق والأبيض.

والآن بعد أن أضحى «سيتى الأول» فى سُدَّة الحُكم، أصبح فى مقدوره مواصلة تحقيق طموحاته فى إعادة بسط سيطرة مصر على كنعان، وذلك بمحاربة جميع الأمراء ورؤساء القبائل المحليين الذين انتهزوا الفرصة للقيام بعصيان ضد مصر، قُرب نهاية الأسرة الثامنة عشرة، وأعلن «سيتى» أن رؤساء القبائل «قد عادوا إلى الفوضى والشجار؛ فكلٌ يذبح أخاه، وقد تجاهلوا قوانين القصر».



لوحة تذكارية من الحجر الجيرى، تُظهر سيتى الثانى وهو مازال طفلاً.

وقام سيتى بسلسلةٍ من الحملات تُعرف بحروب الشمال، وفى السنة الأولى من حُكمِه، (كانت السنين عند المصريين تبدأ مع بداية تولِّى كل ملك جديد للحكم) سار الجيش المصرى شمال شرق الدلتا، عبر صحراء سيناء، حتى وصل إلى غزة فى إقليم كنعان (فلسطين فى وقتنا الحاضر)، وهناك خاض معركةً ضارية مع إحدى القبائل المحلية، التى يُطلق عليها الـ«شاسو»، وسجل كَتبة الملك هذه المعركة قائلين «انقضَّ جلالته عليهم مثل أسدٍ مِغوار، وقد حَوّلهُم إلى جُثثٍ.... كما لو أنهم لم يكن لهم وجود على الإطلاق». ثمَّ واصل «سيتى» سيره بعد ذلك حتى وصل إلى «بيت شان»، أقام فيها لوحة

تذكارية لتخليد ذكرى أحد انتصاراته الأخرى، وقد كُتِب عليها أن «جلالته أرسل فرقة آمون العسكرية الأولى، التى كانت زاخرة بأقواسها على مدينة حماه (غير مدينة حماه السورية التى نعرفها الآن)؛ وفرقة رع العسكرية الأولى المفعمة بالبسالة والشجاعة، على مدينة بيت شان، وفرقة سِت العسكرية الأولى، ذوى الأقواس القوية، على مدينة ينُعَم، وهكذا، بعد انقضاء يومٍ واحد فقط، خضعوا جميعًا لِبأس جلالته».

وإبَّان السنتين التاليتين، عاد «سيتى» وجيشه مرةً أُخرى إلى كنعان وسوريا، وحاول الانتهاء من مهمة استتباب السلام، وإحكام قبضة مصر على المنطقة، كما قامت جيوشه كذلك بتأمين موانئ لمصر: صور، وصيدا، وبيبلوس، وسيميرا.

أما القوة العُظمىَ الأُخرى فى ذلك العصر، فكانت تتمثّل فى إمبراطورية الحيثيين، والتى كان مقرها «خِيتا» (تركيا حاليًا) فى الشمال، وكانت هذه القوة تبسط سيطرتها كذلك على الأراضى الممتدة جنوبًا نحو المناطق الخاضعة للسيطرة المصرية، وخاض الملك «سيتى» والملك الحيثى «موتلى» حربًا قصيرةً فى السنة الرابعة 1291ق.م، وكانت هذه الحرب بمثابة بداية سلسلةٍ طويلة من الصراعات بينهما.

الأمير رمسيس

ولكن ماذا عن «رمسيس»؟ على الرغم من أنه قد تمّ تنصيبه فى سنّ العاشرة وليًّا للعهد، وقائدًا أعلى للجيش، فإنه فى واقع الأمر، ظل فى مأمنٍ بموطنه منف إبَّان هذه الحملات.

فقد أمضىَ معظم العام فى كنف والدته، «تويا»، وشقيقيهِ «تى يا» و«حتمى رع» وذلك بالقصر الملكى بالعاصمة «منف»، وكانت العائلة تذهب لقضاء إجازاتها بقصرهم بمنطقة «غورب» بالفيوم، ذلك أن هذا الموضع كان هو المُفَضل لدى العائلات الملكية منذ الدولة الوسطى، وكان يشتهر بحدائقه الخلاّبة.

وثَمَّة قصر خاص تم تشييده فى هذا الموضع لنساء الأسرة المالكة، وذلك منذ الأسرة الثامنة عشرة، وبعضٌ منهن كن يُمضين معظم العام فيه، وبعضهن الأخريات، مثل الملكة «تويا»، وبناتها، وزوجات «رمسيس» كُن يذهبن لتمضية بعض

الوقت فحسب، وكانت سيدات الأسرة المالكة تَقُمْن على إدارة ذلك القصر، وما يُحيط به من أراضٍ، ذلك القصر الذى كان يزخر بالحياة والحركة الدائبة، والذى كان من الناحية الفعلية بمثابة مدينة صغيرة تشتهر بصناعة أجود أنواع الأقمشة الكتانية التى كانت تستخدمها العائلة المالكة فى صُنع ملابسها.

وكان «رمسيس» يجد متعةً فى صيد الأسماك، والطيور فى البحيرة، والبرك، أما فى شهور الصيف الحارة، فكانت العائلة كذلك تتردد على قصرهم قرب «أواريس» بشمال شرق الدلتا، بالقرب من ساحل البحر الأبيض المتوسط.

وقد ذهب «رمسيس» مع غيره من الصِبية الذين يقطنون الأراضى المحيطة بالقصر بمنف، إلى المدرسة لتعلُّم القراءة، والكتابة، والرياضيات، وكان أحد معلميه هناك هو رجل يُدعىَ «تيا»، الذى تزوج بعد ذلك من «تى يا»، أخت «رمسيس»، وقد تمَّ دفن الزوجين معًا فى نهاية الأمر، فى مقبرة مُشتركة تم اكتشافها مؤخرًا بمنطقة سقارة.

وكانت الرياضة كذلك تُمثل جانبًا مهمًّا فى تربية الصبى، فقد تعلم «رمسيس» كيفية استخدام القوس والسهم، وكيفية التصويب على الهدف، وهو على متن مركبته، كما قام كذلك بتنمية قوته عن طريق ركوبه الخيل، ومصارعة الصبية الآخرين.

وعادةً ما كانت تدور التدريبات العسكرية فى معسكرات خاصة بالجيش، حيث كان الجنود يتلقون فيها التدريبات العسكرية على كيفية استعمال الأسلحة المختلفة، وبصفته وليًّا للعهد، فقد كان «رمسيس» يتلقى تدريبات خاصة به، إلا أنه كثيرًا ما كان يتردد على هذه المعسكرات، كجزء من واجباته بصفته القائد الأعلى.

وفى السنة الرابعة من فترة حُكم «سيتى»، وعندما كان «رمسيس» فى الثالثة عشرة من عمره، سنحت له الفرصة للمرة الأولى أن يخرج فى صُحبة الجيش المصرى، فعندما كان «سيتى» منشغلاً بالتصدى للحيثيين فى الشمال، كانت فِرَق من المغيرين الليبيين، الذين تقع بلادهم غربًا، يُحدثون قلاقل واضطرابات فى دلتا مصر، ومن ثمَّ، أسرع «سيتى» فى العودة إلى مصر، واصطحب معه «رمسيس»، وقام بحملةٍ قصِيرةٍ حالفها النجاح لطرد الليبيين، وقد نودى بأنه «هو الذى أطاح بهؤلاء الذين أرادوا عصيانه، والذى ضرب بشدة سكان القبائل، وسحق البدو تحت أقدامه ووطئ أراضى ليبيا النائية».

ولاريب أن «رمسيس» شاهد تقريبًا هذه المعركة الدائرة من بعيدٍ فقط، ذلك أن أباه لم يشأ أن يُعرضه للخطر، غير أن الأمير قد ظهر للمرة الأولى وهو يقف إلى جوار أبيه فى المشاهد التى تصور المعركة، والتى تم نقشها على جدارن المعبد بالكرنك.

وفى السنة التالية عاد «سيتى» مرة ثانية إلى سوريا لمواصلة معركة ضد الملك «موتلى»، وقد اصطحب «رمسيس» معه فى هذه المرة، وتقاتل الجيش على إحدى المدن المهمة التى تقع فى شمال سوريا وتُدعىَ «قادش»، وبسط «سيتى» سيطرته عليها لفترة وجيزة، ومن ثمَّ، أقام فيها لوحة تذكارية لتخليد هذا النصر، إلاّ أن مُعظمها قد فُقد الآن، غير أن «موتلى» أعاد الكرّة مرةً أخرى فى القتال، وفى النهاية وافق الملكان على إبرام هُدْنَة بينهما، على أن تحتفظ مصر بجميع الموانئ الساحلية التى كسبها «سيتى» فى السابق، فى حين يحتفظ الحيثيون بـ«قادش»، وكان لهذه المعارك، والانتصار الذى تحقق فى قادش، والذى لم يدم طويلاً، أثر بالغ على الشاب اليافع، الأمير «رمسيس»، فلم يستطع أن ينسى البتة أن قادش كانت مصرية فى وقتٍ ما، ومن ثمَّ، عقد العزم على استردادها فى يوم ما.

رمسيس شريكًا فى الحُكم

صاحب الأمير «رمسيس» أباه، طوال فترة مباشرته لمهامه المَلكية داخل مصر، فكانا يذهبان معًا بصورة منتظمة، لتفقُد أعمال البناء الجديدة التى تتم فى المدن المهمة كالأقصر، وأبيدوس، ومنف. كما تعلم «رمسيس»، كيفية إدارة شئون الحُكم وموظفى الدولة.



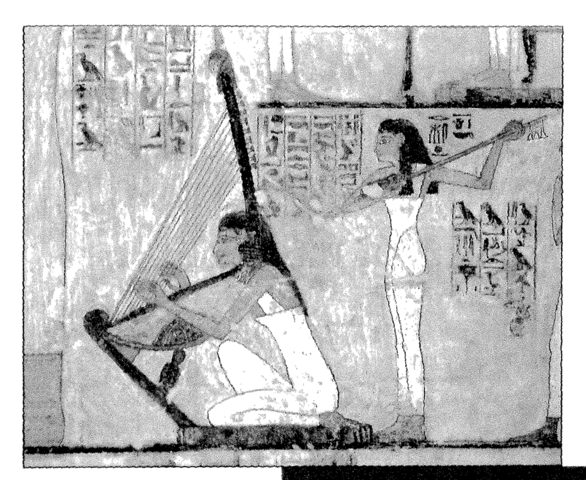
إبَّان السنة السابعة من حُكمِه، 1289ق.م.، وعندما كان «رمسيس» فى السادسة عشرة من عمره، قرر «سيتى» أن يُعلن للقُطر بأسرِه أن الأمير «رمسيس الثانى» تحديدًا، هو الوريث للعرش، وأنه يومًا ما سوف يصبح فرعون مصر القادم، وكان هذا الأمر بمثابة خطوة مهمة، ذلك أن عائلة الرعامسة كانت مازالت جديدة على عرش مصر، ومن ثمَّ، أراد «سيتى» أن يضمن ألاّ يُخالج الشك مُخَيلة الجيش والحكومة فى أن «رمسيس» شخص ذو أهمية، ينبغى عليهم أن يذعنوا له، ويطيعوه.

وبناءً على ذلك، فقد تم عمل الترتيبات اللازمة لإقامة احتفاليةٍ كبيرة لتتويج «رمسيس الثانى» وليًّا للعهد، وقام «رمسيس» نفسه بوصف هذا الحدث على جدران معبد أبيه بأبيدوس قائلاً: «إنه مِن - ماعت-رع (سيتى) الذى قام بتنشئتى وتربيتى، رب الجميع، هو نفسه الذى عظّمنى، بينما كنتُ مازلت طفلاً صغيرًا، وحتى صرتُ حاكمًا، وتنازل لى عن الأرض وأنا مازلت جنينًا، وأعرب الموظفون عن مبايعتهم لى عندما نُصّبتُ كبيرًا للأمراء... وعندما ظهر أبى أمام الشعب، كنت مازلت فتى يافعًا فى حِضنهِ، وتحدث هكذا قائلاً عنى «توجوه مَلكًا، حتى أرى جمال مُحَيّاه، وأنا مازلت حيًّا!» وقد قام باستدعاء كبار موظفى البلاط لوضع التيجان على جبينى... وهكذا

قال عنى، بينما كان ما يزال على هذه الأرض «إنه سوف يحكُم هذه الأرض، وسوف يرعى حدودها، ويقود الشعب». وتكلم عنى، وعيناه مغرورقتان بالدموع، كم كان يحمل بداخله حُبًّا عظيمًا لى».

وكانت الألقاب الملكية للفرعون تتكون من خمسة أسماءٍ عظيمة يتلقاها فى يوم تتويجه، وكثيرًا ما كانت تنعكس هوية الملك الخاصة به، واهتماماته فى تلك الأسماء التى يتم انتقاؤها له، وأما الاسمان الأخيران للملك، المعروفان بالاسم الأول والاسم الثانى له، فكانا يتم وضعهما فى خانات ملكية عبارة عن إطارات زخرفية بيضاوية أو مستطيلة الشكل يُطلق عليها «الخرطوش» والاسم الأول هو بمثابة الاسم الرسمى للفرعون، وكان يُستخدم فى أمور من قبيل التصريحات الرسمية والمعاملات الخارجية، وأما الاسم الثانى، فكان يُمثل الاسم الشخصى للفرعون الذى كان يُستَخدم من قِبَل عائلته، وأصدقائه المقربين، وهكذا أصبح لزامًا على «رمسيس الثانى» الآن، أن يختار ما سوف تكون عليه أسماء العرش الخمسة الخاصة به.

ومن ثَمَّ، فقد كانت الأسماء الثلاثة الأولى التى وقع اختياره عليها هى: «الحورس، الثور القوى، محبوب ماعت»، و«ذو السيدتين، حامى مصر، وقاهر الأراضى الأجنبية»، و«حورس الذهب، وافر السنين، عظيم الانتصارات»، هذه الأسماء جميعها تُظهر مدى



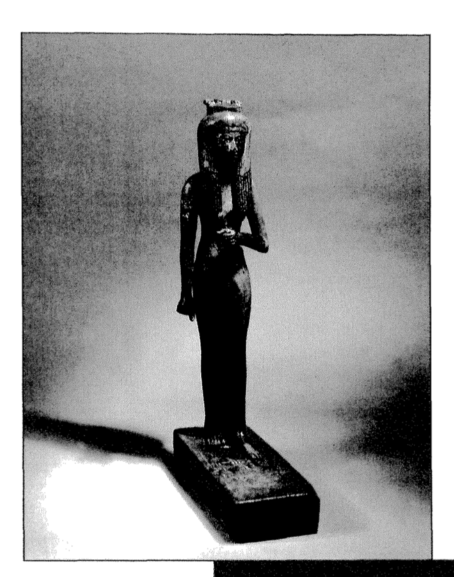
الأهمية التى أسبغها «رمسيس» على شخصه، وكذلك على قوة مصر العسكرية وسلطانها، وأما اسما سيتى الأخيران فكانا «مِن-ماعت-رع»، ويعنى «فليدُم ماعت رع» و«سيتى ميريبتاح»، والذى يعنى «سيتى محبوب بتاح»، وقد حذا «رمسيس» حذو أبيه، ومن ثمَّ، صاغ اسميه على شاكلة اسمى أبيهِ وأطلق على نفسه «أوزر-ماعت-رع»، أى «قوى ماعت رع»، و«رمسيس-ميريآمون» والذى يعنى «رمسيس محبوب آمون».

والآن تغيرت حياة «رمسيس» المنزلية، فقد منحه أبوه بيتًا خاصًّا به، فضلاً عن زوجاتٍ، وجوارٍ، وكان هذا يعنى أنه قد انتقل الآن من

القصر الرئيسى الذى يعيش فيه أبواه، إلى قصرٍ آخر يقع على مقربةٍ منه، وهنا، وهو مازال شابًّا يافعًا، أصبح يعيش مع خدمهِ الخاص به، الذين كان بعضٌ منهم من أصدقاء الطفولة الذين نموا وترعرعوا معه فى محيط القصر، وأحد أعزّ أصدقائه هو «أَمِن إِم إِنِتْ»، الذى قام بتعيينه رفيقًا شخصيًّا له وصديق، وخادم آخر له هو «مِنّا»، الذى كان حامل دِرع «رمسيس»، وهو من قبيل الحَرس الشخصى له، ذلك أنه عندما كان يركب «رمسيس» عجلته الحربية، كان «مِنّا» يرافقه لحمايته.

وأما زوجاته اللاتى تمَّ اختيارهُن له، فقد كُنّ فتيات مصريات ينتمين إلى عائلات من عِلية القوم، وقد أُحسن تنشئتهُن، وقام «سيتى» ومستشاروه بانتقائهن كشريكات حياة ملائمات له، بصفته الملك القادم، كما أنه يُرَجَّح أنه كانت هنالك فتيات أجنبيات، كُنَّ بناتًا لأُمَرَاءٍ ورؤساء من كنعان، وسوريا، أرادوا كسب ود «سيتى» ورضاه، وعلى خلاف الفراعنة السابقين، لم يتزوج ملوك الرعامسة الأوائل بأميرات الأسرة المالكة، وذلك يرجع إلى أن «رمسيس الأول»، و«سيتى الأول» لم يأتيا فى الحقيقة من عائلة مالكة، وبدت لهما هذه الفكرة غريبةً إلى حد ما.

أما زوجتا «رمسيس» الأساسيتان، فهما «نِفِرتارى»، و«إست نفرِت»،



إلا أننا لا نعلم الكثير عن أىٍ من هاتين المرأتين، سوى أن كلتيهما كانتا فى مثل عُمر «رمسيس» تقريبًا، ويُرَجح أن كلتيهما تنتميان إلى عائلات مصرية.

وفى غضون فترةٍ وجيزة جدًّا، أنجبت «نفرتارى» ابنًا أُطلق عليه اسم «أمِنحيرونمف»، وأنجبت «إست نفرِت» ابنًا أسموه «رمسيس»، ثمَّ أنجبت

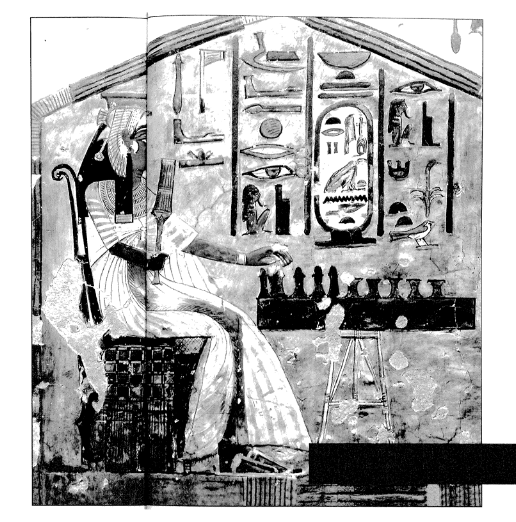
«نِفرتارى» ابنًا آخر أَسموه «بْرَحيرونِمف»، وابنةً تُدعَى «بنت-عنث»، بينما أنجبت «إست نفرِت» ابنًا آخر أُطلق عليه اسم «خع إِم وا سِت».

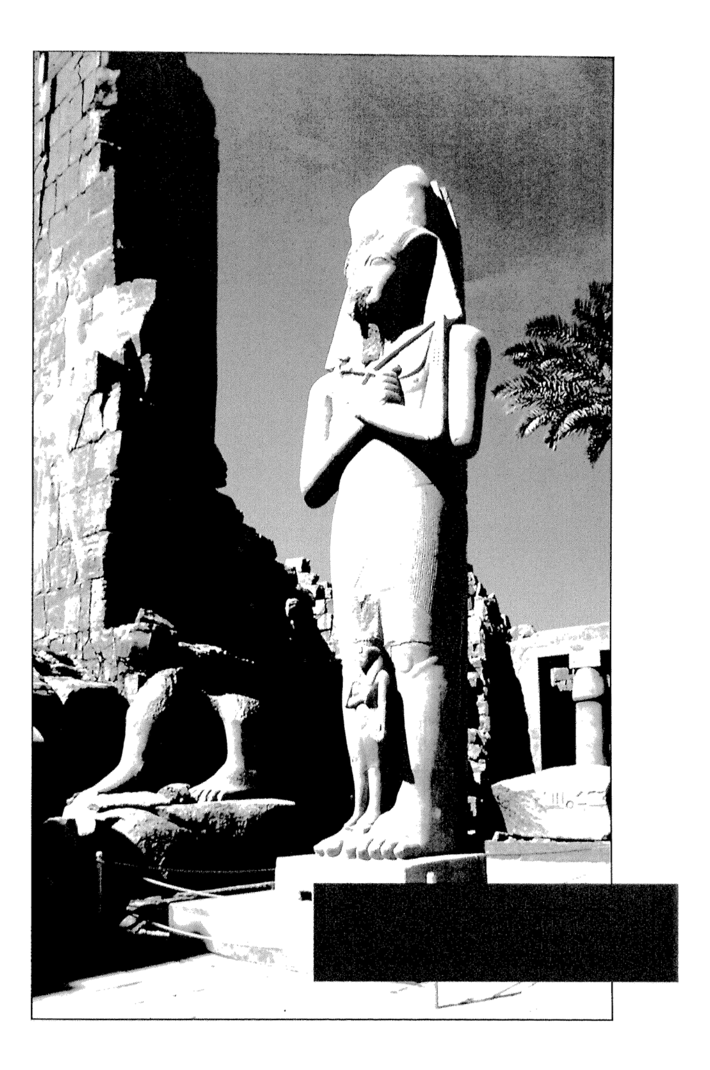
كما أنجبت زوجات أُخريات لـ«رمسيس» أقل شأنًا أولادًا، وفى النهاية كان له ما يقرب من أربعين طفلاً !

وعلى الرغم من إعلان تنصيب «رمسيس الثانى» ملكًا مشاركًا لأبيه الآن، فإنه بات من المعلوم لدى الجميع أن «سيتى» مازال هو الملك، وأن «رمسيس» ما هو إلا نائب له، يقوم بعمل ما يطلب منه أبوه القيام به، وعلى مدار السنين القليلة التالية، ركز «سيتى» و«رمسيس» اهتمامهما على الشئون الداخلية، وأنفق «سيتى» القسم الأكبر من وقته، فى إدارة شئون حُكم البلد من منف، وكان هو وزوجته «تويا» يذهبان لقضاء الإجازات فى قصره الصيفى قرب أواريس فى شمال شرق الدلتا، أما فى الشتاء، فكانا يذهبان إلى الأقصر، حيث كانا يعيشان فى قصور باتت مفقودة الآن، وكانت هذه القصور تقع بالقرب من المعبد الرئيسى بالكرنك، وكذلك أيضًا بالبر الغربى عند معبده التذكارى فى منطقة الجُرْنة.

أما «رمسيس» فقد كان يُمضى وقته فى السفر، قاطعًا البلد من جنوبها إلى شمالها، لتفقُد جميع مشروعات البناء التى أصدر أبوه تكليفًا بتشييدها، وكجزءٍ من تدريبه أحيانًا، كان يُعهد إليه بالخروج

على رأس بعثات مَلكية خاصة به، ففى السنة التاسعة من حكم «سيتى»، على سبيل المثال، عندما كان «رمسيس» فى الثامنة عشرة من عمره، تم تكليفه للقيام بحملةٍ كان هو المسئول عنها، إلى محاجر الجرانيت بأسوان، وذلك فى القسم الجنوبى من القُطر، وقد تم إرسال هذه الحملة للتنقيب عن نوع خاص من الجرانيت الأسود، الذى كان يُستخدم فى صناعة التماثيل، والمسلات، لتزيين المعابد والقصور التى قام سيتى بتشييدها وقد سَجل هذا الحدث كتبة الملك قائلين: «لقد أصدر جلالته أوامر للقيام بعددٍ كبير من الأعمال، وذلك لصنع المسلات العظيمة، والتماثيل الرائعة الخلابة باسم جلالته، وقد قام ببناء زوارق لنقلها، وخصص لها أطقمًا لقيادة السُفن، مؤهلين للمهمة التى أوكلت إليهم، وذلك لنقلها من محاجرها، تحت إشراف كبار الموظفين،





ورجال النقل، الذين قاموا بالإنجاز، وقد تقدمهم أكبر أبنائه: «رمسيس»، فى القيام بخدمةٍ نبيلة لجلالته».

ويُعتَقد أن «رمسيس الثانى» كان الآن قد كوّن خبرة كافية كذلك للقيام بقيادة الجيش بنفسه، ففى السنة الثالثة عشرة من حكم «سيتى»، وعندما كان «رمسيس» فى الثانية والعشرين من عمره، كانت هناك بعض القلاقل، والاضطرابات بين السكان المحليين فى شمال النوبة، ومن ثمَّ، ذهب «رمسيس» مصطحبًا معه ابنيه، «أمِنحيرونمِف» (الذى يبلغ الخامسة من عمره)، و«خع إم واسِت» (الذى يبلغ الرابعة من عمره) إلى النوبة، وسرعان ما قام بقمع هؤلاء النوبيين الذين انتابهم عدم الرضا. والمشاهد التى قام «رمسيس» بنقشها بعد ذلك، على جدران أحد المعابد الصغيرة بمنطقة «بيت الوالى»، بالقرب من الموقع الذى دارت فيه المعركة، تُظهر «رمسيس» وابنيه، وقد استقلَّ كل مركبته الخاصة، ومعه حامل دروعه، وقد انطلقوا صوب العدو، الذى يَظهر وهو يولّى أدباره هاربًا، وتظهر امرأة نوبية وقد غلبها البكاء قائلة «لم نعرف حاكما حانقًا بمثل هذا الشكل، إنه يشبه سِت فى السماء!».

ومَرَت السنون القليلة التالية فى هدوء نسبى، وتقدمت أعمال البناء جميعها، وحدثت بعض القلاقل، والاضطرابات بصورة

ضئيلة، واشتملت على أحداث قرصنة فى البحر الأبيض المتوسط، إلاّ أنه سرعان ما تم التعامل معها، وواصل «رمسيس» تعلّمهُ لكل المهام التى ترتبط بكونه حاكمًا لمصر، من خلال أبيه، وفى صيف السنة السادسة عشرة، 1279ق.م، وعندما كان «رمسيس» فى الخامسة والعشرين من عمره، وافت المنية الملك «سيتى» على حين غِرة، بينما كان هو وزوجته «تويا» يُمضيان إجازتهما بقصره الصيفى فى أواريس.

الفصل الثالث

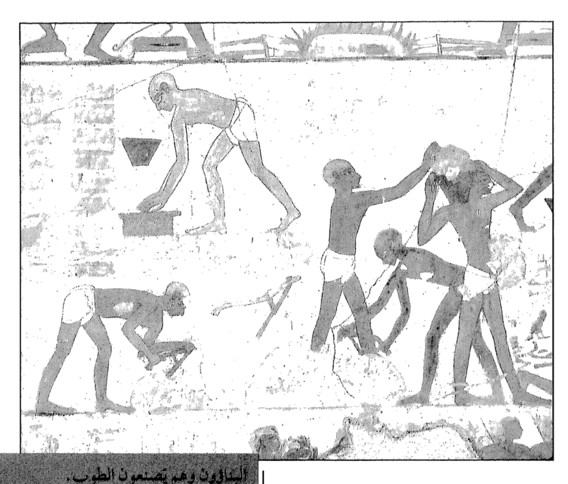
الملك رمسيس

والآن صار «رمسيس الثانى» ملكًا، فلقد كانت هذه هى اللحظة التى كان يتم إعداده من أجلها، طوال حياته تقريبًا، وأما هو، فقد كان رجلاً طويل القامة، وحسن المنظر، ذا أنفٍ بارز، ووجنتين بارزتين، ولوزىّ العينين، وذا فم ممتلئ، وذقنٍ صغير مربع، كما كان كذلك ذا أذنين كبيرتين وشعر أحمر، الأمر الذى كان يُعد غريبًا، وكان ذا قوام متناسق ومفعم بالصحة، كما كان بارعًا فى جميع فنون إدارة شئون الحُكم، وقد بسط نفوذه وسيطرته على بلدٍ عظيم امتدت حدوده من أقاليم النوبة جنوبًا، حتى كنعان وسوريا شمالاً.

غير أن مُهمة «رمسيس» الأولى كانت هى الإشراف على إتمام مراسم دفن أبيه الملك «سيتى»، ومن ثَمَّ، قام بإرسال الرُسل من أواريس إلى طيبة، لاستنهاض الصُنَّاع والفنانين الذين يوشكون على الانتهاء من مقبرة الملك وجميع الأدوات والمعدات،

التى عادةً ما كان يتم دفنها مع الملك طبقًا للتقاليد، وفى الوقت نفسه كان هؤلاء القائمون على أعمال التحنيط بأواريس، مشغولين بإعداد جثمان الملك، وأما «رمسيس» ووالدته، «تويا»، فقد مكثا بالدلتا، بينما ذاعت أنباء الملك الجديد، وانتشرت فى جميع أرجاء القطر، كما أعلن «رمسيس الثانى» كذلك أثناء وجوده فى أواريس، أن هذا المكان سوف يكون مقرًّا لمدينةٍ جديدة سوف يقوم بتشييدها كى تكون عاصمةً جديدة لمصر، وأنه سوف يُطلق عليها اسم «بر-رعمسيس عَنَختو»، الذى يعنى «بيت رمسيس المنتصر»، ذلك أنه أثناء قيامه باختيار أسمائه الخمسة الخاصة بتوليه العرش، كان هذا بمثابة إشارةٍ أخرى أرادها رمسيس، أولاً وقبل كل شىء، ألا وهى أن يسود اعتقاد دائم عنه بأنه مُحارب ناجح.

وفى شهر أغسطس من عام 1279ق.م، ارتحل «رمسيس» من أواريس مع جثمان أبيه، وقد اصطحب معه أمه، وأخواته، وزوجاته الرئيسيات، وبعضًا من أولاده، وقد ارتحلوا مستقلين مجموعة من الزوارق أو المراكب، التى كانت أكثر أشكال النقل شيوعًا، فى بلدٍ كانت معظم التنقلات تتم فيه بواسطة النهر أكثر من الطرق البرية، وقد كانت الزوارق تُبحر بفعل قوة الرياح، أو تستمد قوة دفعها بفعل عمل المُجذفين أو يتم سحبها إلى الأمام بواسطة حبال من ضفاف



البناؤون وهم يصنعون الطوب.

النهر، وهكذا فقد كانت محطتهم الأولى فى هليوبوليس- عين شمس- التى كانت بمثابة مركز عبادة «رع» إله الشمس، فإلى جانب «آمون»، كان «رع» أهم آلهة الدولة الحديثة، وبعد تلاوة الصلوات، وتقديم القرابين إلى الإله، انتقلت العائلة المالكة بعد ذلك، إلى العاصمة منف، حيث مقر الحُكم هناك، ومن ثمَّ، انتهز كبار الموظفين الفرصة لإلقاء نظرة الوداع على الملك الراحل، ومبايعة «رمسيس» حاكمًا جديدًا عليهم.

ثمَّ واصلت جميع السفن التى حملت على متنها عائلة «رمسيس»، فضلاً عن الكهنة وكبار الموظفين، إبحارها حتى وصلت إلى طيبة، وبعد إنزال جثمان «سيتى»، تم حمله إلى معبده التذكارى

بمنطقة الجُرنة فى البر الغربى بطيبة، وهنا تم إجراء طقوس دينية ضخمة حضرها الجميع، وبعد ذلك سارت مجموعة صغيرة مكونة من أكبر الكهنة، وأفراد العائلة وراء التابوت، إلى الصحراء المؤدية إلى وادى الملوك، وربما تبعها موكب طويل من الكهنة، وغيرهم من الذين يحملون جميع الأشياء التى ستوضع فى المقبرة، لدفنها مع الملك المتوفى، وتشمل أدوات الدفن هذه أربع جرار كانوبية (أوعية فخارية لحفظ أحشاء الجثة المُحَنّطة)، وكانت تحتوى على الأحشاء المختلفة للملك المتوفى، التى تم انتزاعها أثناء عملية التحنيط، وكانت كل جرّة كانوبية ذات غطاءٍ يُمثل واحدًا من أبناء «حورس» الأربعة، الذين يقومون على حراسة هذه الأحشاء، «إمسِتْ» كان ذا رأس إنسان، ويقوم على حراسة الكبد، و«حابى» كان ذا رأس قِرد، ويقوم على حراسة الأمعاء، وأما «كِبحسنو إف»، فكان ذا رأس صقر، ويقوم على حراسة الرئتين، وأخيرًا «دواموتِف»، الذى كان ذا رأس ابن آوى، ويقوم على حراسة المعدة.

إن تقنيات التحنيط التى تطورت عبر تاريخ مصر، كانت قد وصلت درجة عالية من الكفاءة فى الحفاظ على الجثمان، وذلك بحلول عصر الدولة الحديثة، ومازالت هناك عيّنات جيدة من الرُفات، التى تَمَّ الحفاظ عليها، والتى ترجع إلى هذا العصر، وتعد

مومياء «سيتى الأول» من أجمل وأحسن المومياوات حاليًّا، حيث كان قد تَمَّ الحفاظ عليها فى تابوتٍ ضخمٍ من حجر الجرانيت، أو التابوت الخارجى، الذى تَمَّ وضع تابوته بداخله، كما كان له كذلك تابوت داخلى آخر، رائع مصنوعٌ من المرمر، عليه مشاهد منحوتة من كتاب البوابات، متشحة بصبغة زرقاء، وقد تَمَّ عمل زخارف بديعة لجميع حجرات وممرات المقبرة، بنصوص دينية مكتوبة باللغة الهيروغليفية، فضلاً عن صور للملك مع آلهةٍ مختلفة، كما تَمَّ وضع أشياء عديدة داخل المقبرة، تحسُّبًا إلى احتياج الملك إليها فى حياته الأخرى، وقد اشتملت على قطع الأثاث، وملابس، وطعام، ومجوهرات، وأسلحة وكتب، فضلاً عن العديد من الأشياء ذات الأهمية الدينية، ولسوء الحظ، فقد تعرضت مقبرته للنهب بعد دفنه مباشرةً، ومن ثَمَّ، فإنه ليس فى وسعنا سوى تخمين الشكل الذى كانت عليه المقبرة فى صورتها الأولى.

وبعد أن تَمَّ وضع جميع الأشياء فى أماكنها بالمقبرة، قام «رمسيس» وكبار الكهنة بإجراء الطقوس الدينية الأخيرة على الجثمان، ومن ثَمَّ، تَمّ إنزال تابوت سيتى إلى مثواه، وبعد ذلك تَمّ سَدّ المقبرة، وإغلاق بابها بإحكام.

وبعد الانتهاء من إتمام المراسم الجنائزية، ظل «رمسيس» وعائلته فى

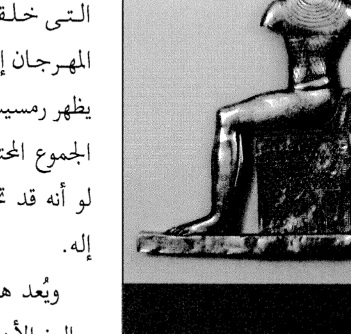


هذه اللوحة من مقبرة نخت، مدير كروم الملك ومخازن غلاله، تصور الحطابين أثناء قيامهم بعملهم.

الأقصر، ذلك أنه فى هذا الوقت، كان موعد واحد من أهم الأحداث الدينية التى كانت تتم فى الأقصر، ويطلق عليه مهرجان «أوبيت»، وهو مهرجان يقام مرة واحدة فى العام فى منتصف شهر الفيضان، ويستمر لأكثر من ثلاثة أسابيع، والحدث الرئيسى فى هذا المهرجان، يتمثل فى حمل تمثال الإله «آمون-رع» فى موكب مهيب، من معبد الكرنك لزيارة «آمون - مين» فى معبد الأقصر، وكان يتم نقل تماثيل الآلهة، «آمون» و«موت» و«خونسو»، بواسطة «مراكب خاصة»، كانت تتخذ شكل زوارق نهر النيل الصغيرة، وكان

مُقَدِّم كل مركب ومؤخرته على شكل رأس كبش، وهو أحد أشكال الإله «آمون»، بينما كان التمثال نفسه مخفيًّا فى مكانٍ خاص به فى وسط المركب، ذلك أنه لم يكن يُسمح للعامة من الناس بمشاهدة هذه الآلهة بالفعل، حيث إن هذا الأمر كان مقصوراً على الملك والكهنة، وتُظهر لنا الصور الموجودة بالمعابد، أن هذه المراكب كثيرًا ما كان يتم حملها بواسطة صفوفٍ من الكهنة، وهكذا فإن القصد من هذا المهرجان، هو الاحتفال بتجدد الحياة لدى الفرعون، مما يعزز فكرة أن الملك هو ابن للإله، كذلك كانت فرصة للشعب أن يرى الفرعون.

وكانت هذه هى المرة الأولى التى صار فيها «رمسيس» محط أنظار المهرجان، فقد انتقل مع هذه المراكب المقدسة، من معبد الكرنك إلى معبد الأقصر، فى صُحبة موكبٍ ضخم من الكهنة، وقد اصطفّ الآلاف من الناس على ضفتى النهر، ومن بينهم جنود، وعازفو الموسيقى، والراقصون الذين كانوا يتبعون الزورق من على ضفاف النهر، ثمَّ قامت مجموعة من الكهنة، بعد ذلك، باصطحاب «رمسيس» إلى المْقدِس الداخلى المُظلِم للمعبد، والذى يُسمى قدس الأقداس، حيث يتم الاحتفاظ فيه بتمثال الإله، وهناك، وعلى وميض أضواء الشموع المصحوبة بتلاوة الصلوات وإحراق البخور،



يتّحد الملك بصورة رمزية بالكا الجديدة، أو قوة الحياة، التى خلقها الإله، ويصل المهرجان إلى ذروته، عندما يظهر رمسيس من جديد أمام الجموع المحتشدة المتهللة، كما لو أنه قد تحول هو نفسه إلى إله.

ويُعد هذا المهرجان حدثًا بالغ الأهمية بالنسبة لـ«رمسيس»، ذلك أنه يضمن له أن الدور الرمزى للملك مازال مستمرًّا، فلقد قام كلٌّ من «آى»، و«حور محِب»، و«رمسيس الأول»، و«سيتى الأول» بالانخراط فى ممارسة نفس هذه الطقوس، ومن ثمَّ، فقد نجح مهرجان «أوبيت» فى دمج جميع هؤلاء الملوك فى سلالةٍ واحدة، وعلى الرغم من أن «رمسيس» قد ورث العرش عن أبيه، ولم يكن مضطرًّا أن يساوره القلق بخصوص كونه ينحدر من دمٍ ملكى، إلا أنه كان مازال فى حاجة إلى أن يُدخل الطمأنينة إلى قلبه، وذلك بالتأكيد على أن الإله «آمون» قد اعترف به كحاكمٍ حقيقى. كما يُعد

مهرجان «آوبيت» بمثابة فرصةٍ ملائمة لمناقشة بعض الأمور المهمة الخاصة بشئون الحُكم، ففيه يتم اختيار الكهنة للترقى لملء الوظائف الشاغرة التى خلّفها الكهنة المسنون الذين وافتهم المنيّة، كما كانت تتم كذلك الترقيات فى مجال الأمور المتعلقة بالسياسة، وقد قام «رمسيس» بترقية صديقه «أمن إم إنِت» إلى رتبة سائق المركبة الملكية وناظرٍ للخيول، وكذلك كان الملك يقوم بتفقُد بعض الأمور ومباشرتها، فقام رمسيس بمتابعة مدى التقدُّم الذى تحقق فى بناء مقبرته بوادى الملوك، والانتهاء من معبد «سيتى» التذكارى بالبَر الغربى.

وشرع «رمسيس» كذلك فى التخطيط لتشييد معبده التذكارى، والذى يُعرف اليوم بـ«الرامسيوم»، ويمثل البناء الرئيسى الذى كانت تتم فيه العبادة الجنائزية لـ«رمسيس» بعد وفاته، وبمعنى آخر، كان هذا المعبد عبارة عن مبنى ضخم مخصص للملك، ومكانٍ لتقديم القرابين لروحه أو الـ«كا» بعد وفاته، وذلك بواسطة مجموعة كبيرة من الكهنة. ولمعبده التذكارى تخطيط مماثل للمعابد الأخرى من الدولة الحديثة، إلا أنه فى هذه الحالة تمَّ وضع تمثال لـ«رمسيس» بالمقْدِس الداخلى (قدس الأقداس). ويشكل المعبد فى الحقيقة جزءًا من مدينة صغيرة، مُحاطة جميعها بسورٍ عالٍ من الطوب اللبن،

علبة أدوات تجميل مصنوعة من الخشب وعليها بعض الزخارف، تم العثور عليها بمنف.



وتشمل المبانى الأخرى قصرًا لـ«رمسيس» للإقامة فيه عند زيارته، ومدرسة لتدريب الكَتَبة الدينيين والحكوميين، ومكتبة، وكذلك العديد من صوامع الغلال الضخمة، ومستودعات لتخزين السلع والبضائع.

أما فى البَر الشرقى، فكان مايزال بهو الأعمدة بالكرنك تحت الإنشاء، وقام رمسيس مرة أخرى بتغيير اسمه إلى «رمسيس الثانى جندى صالح للخدمة فى ميدان آمون»، كما قرر كذلك توسيع معبد الأقصر المجاور، وذلك بإضافة ممر يؤدى إلى بيلون (بوابة ضخمة)، وفِناء كبير مكشوف تحيط به الأعمدة.

وأصدر رمسيس مرسومًا بإقامة تمثالٍ ضخمٍ له بين كل عمود وآخر، فضلاً عن أربعة تماثيل ضخمة جالسة على جانبى مداخل البوّابات، وبعد التأكد من أن جميع هذه المبانى، الباهظة التكاليف، والمتقنة الصنع، كانت تتم على قدمٍ وساق، أبحرت سفن رمسيس وعائلته صوب الشمال للعودة إلى منف، ذلك فى شهر أكتوبر من سنة 1297ق.م.

الفصل الرابع

معركة قادش

سرعان ما انقضت السنوات القليلة التالية، التى باشر فيها «رمسيس» عمله الفعلى فى حُكم البلد، وفى وقتٍ ما من السنة الثانية من توليه الحُكم (1278ق.م)، قرر أن يُغير اسمه الأول، أو اسم العرش، الذى أصبح «أوزر-ماعت-رع سيتيبنرع»، قوى فى الحق رع، الذى اختاره «رع»، «رمسيس»، « مرى - آمون» وكان يراقب عن كثب مشروعات البناء بمنف، وأبيدوس، والأقصر، وتنعكس أنشطة الملك هذه فى أوضح صورها، من خلال الكتابات المفعمة بالزهو والفخر، والتى تم نقشها على جدران معابده، فأحد هذه النقوش الموجودة بمعبد الكرنك، يذكر أن «جلالته هو الذى أصدر اللوائح، وقاد العمل فى نصبه التذكارية، وسرعان ما نُفذت كل تصميماته».

ومن الناحية النظرية، كان رمسيس مسئولاً عن كل كبيرةٍ وصغيرة تتعلق بشئون الحُكم، ومن ثَمَّ ،

فقد كانت إحدى مهامه الرئيسية، هى أن يكفُل للبلد رخاءه وازدهاره، ولابد أن نتذكر هنا أن أعمال البناء، بمثل هذا الحجم، كانت باهظة التكاليف، وكان ينبغى على خزانة الملك إعالة ومساندة جميع العمال المشاركين فى بناء المعابد، ولحُسن الحظ، فلقد كان لدى المصريين ذهب وفير، ذلك أن مصر كانت تشتهر فى العالم القديم بأنها مصدر لهذا المعدن النفيس، فقبل ذلك بحوالى 200 عام كتب ملك ميتانّى إلى الملك «أمِنحوتب الثالث» قائلاً: «إن التِبر فى بلد أخى (مصر) مثل الثرى فى وفرته».

وكان المصريون يحصلون على الذهب من الصحارى التى تقع إلى الشرق من وادى النيل، وكذلك أيضًا، من صحارى النوبة فى الجنوب، وكانت حملات التعدين فى المناجم والمحاجر تتم تحت الرقابة العسكرية، ومن المفترض أن الملك هو الشخص الوحيد المسموح له بإصدار الأوامر للقيام بالعمل، وكان الكثير ممن يُسْنَد إليهم القيام بهذا العمل، من المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة، وكان إرسالهم إلى مناجم الذهب بمثابة عقوبة شديدة، ذلك لأن ظروف العمل هناك كانت شاقة جدًّا، ومحفوفة بالمخاطر.

وعادةً ما يتم استخراج الذهب من الكوارتز، وذلك بإشعال النيران داخل المناجم، حيث تعمل على رفع درجة حرارة واجهة

الصخور، ومن ثمَّ، تحدث فيها شروخ وتشققات، ثمَّ يقوم الرجال بعد ذلك بتكسير قطع منها، باستخدام المطارق والمعاول، ويقومون بإخراج كُتلٍ من الصخور إلى خارج المنجم، حيث يتم سحقها، أولاً بواسطة هاونات حجرية ضخمة، ثمَّ يتم طحنها بعد ذلك إلى مسحوقٍ ناعم، ثمَّ يتم غمر هذا المسحوق بالماء فى أوانٍ مسطحة، حتى يتسنى لتراب الذهب، الذى هو أثقل من جزيئات الصخور، أن يترسب فى قاع الإناء، ثمَّ يتم صَهره بعد ذلك، وتحويله إلى سبائك صغيرة من الذهب.

وقد وصلت التقارير إلى «رمسيس» بأنه يُوجد مصدرٌ غنى بالذهب، فى بقعةٍ بعينها بالنوبة الجنوبية، غير أنه من المستحيل تقريبًا القيام بالعمل هناك، وقد ذكرت التقارير أنه «يوجد ذهبُ وفير فى أرض «أكوُياتى»، إلاّ أن الطريق شديد الوعورة نظرًا لُمشكلة المياه، فهؤلاء الذين يذهبون للتنقيب عن الذهب، قد يصل نصفهم فقط إلى هناك، ذلك لأنهم يلقون حتفهم بسبب العطش أثناء الطريق، هم وحميرهم التى تَنْفُق أمامهم، ولا يمكن العثور لهم على ما يحتاجون إليه من مياه الشرب، سواء فى ذهابهم أو إيابهم».

ومن ثمّ، قام «رمسيس» باستدعاء جميع مستشاريه لمناقشة هذه القضية، وصرّح لهم فى زهوٍ قائلاً: «سوف أتعامل مع هذا الأمر

بنفسى»، ومن ثمَّ، أرسل قائمةً تفصيلية بالتعليمات إلى نائب الملَك فى النوبة الجنوبية، تتعلق ببرنامج طموح لحفر الآبار، متحديًا بذلك جميع التجارب الماضية المتعلقة بالمنطقة، وقال: «لم يتم التنقيب عن المياه فى هذه الأرض منذ وقت طويل، كما قلتم، إلاّ أننى سوف أفتتح بئرًا هناك، يوفر لكم المياه بصورة يومية». ومن الواضح أن البرنامج قد لاقى نجاحًا، ذلك أنه بعد مُضى شهرين، أرسل نائب الملك رسالةً أخرى تقول: «لقد تم كل شىءٍ تمامًا كما نطق به جلالته، فقد ظهرت المياه فى البئر على عمق حوالى 6 أمتار. لم يحدث أمر مثل هذا من قبل، ولقد ملأ الحبور رئيس أكوُياتى، وملأ الإعجاب هؤلاء الذين يقطنون الأماكن النائية، وجاءوا لمشاهدة هذه البئر التى أوجدها الحاكم». وعن جدارةٍ، أُطلق على البئر اسم: «بئر رمسيس الثانى، الشجاع فى أفعاله».

المعركة

فى السنة الرابعة من توليه الحُكم (1275ق.م.)، شعر رمسيس بأن لديه القوة الكافية للعودة إلى إحدى المشاكل، التى طالما اعتملت فى صدره، منذ أن كان صبيًّا يافعًا، ذلك أنه مازال يحمل ذكرياتٍ حيّة لحملات أبيه «سيتى» فى سوريا، ضد «موتلى»، إمبراطور الحيثيين،

وتذكّرَ بصفةٍ خاصة ذلك الموقف الحرج الذى لم يقنَع به، إثر ما تم التوصل إليه بخصوص قادش، فلقد كانت قادش ومنطقة «أمورو» أرضًا مصرية، منذ تولى «تُحتمُس الثالث» الحُكم، قبل ذلك بـ200 عام، وقد فُقدت هذه المناطق منذ حوالى مائة عام، ومن ثمَّ، قرر «رمسيس» الآن غزو هذه المنطقة مرةً أخرى، والتى تُعرف باسم «قادش» بسوريا، بل ربما قرر توسيع إمبراطورية مصر إلى أراضٍ جديدة فى الشمال، ومن ثمَّ، خرج هو وجيشه، أولاً إلى مدينتى صور وبيبلوس (الجُبَيل) الساحليتين، اللتين كانتا بالفعل خاضعتين للسيطرة المصرية، ومن هناك، سرعان ما بسط نفوذه على منطقة أمورو المتدة حتى الساحل، إلاّ أنه لم يصل إلى مدينة قادش، التى تقع على مسافةٍ داخل الأراضى.

كان حاكم أمورو، الذى يُدعى، الأمير «بنتشينا»، خاضعًا من الناحية النظرية للإمبراطور الحيثى، غير أنه لم يكن أمامه خيار سوى أن يستسلم لـ«رمسيس»، وأن يعلن بأن أمورو سوف تخضع من الآن للسيطرة المصرية ومن ثمَّ، فسوف تدفع الضرائب إلى مصر. غير أن «رمسيس» لم يقنع بمجَرّد تلك الأفكار لاستعادة الإمبراطورية المصرية، بل إنه كان مدفوعًا كذلك بالاعتبار العملى المتمثل فى الحصول على المزيد من الأموال لخزانة المصريين. غير أن «بنتشينا»

قد ساوره القلق من أن «موتلى» يمكن أن يزداد حنقًا عليه، لذا قام بكتابة رسالةٍ سرية إلى الإمبراطور الحيثى، ذاكرًا فيها أنه قد حوَّل ولاءه إلى مصر، إلاّ أنه قد أُجبر على ذلك، ولم يكن أمامه خيار حيال هذا الأمر، وشرع «رمسيس» وجيوشه فى العودة إلى مصر للاحتفال بهذه الانتصارات، وكذلك أيضًا للتخطيط للحملة القادمة على قادش، وبعض المدن الأخرى التى تقع على مسافةٍ داخل الأراضى.

استشاط «موتلى» غضبًا، بعد أن تلقى رسالة «بِنتشينا»، وما لبث أن أدرك أن الفرعون الشاب «رمسيس الثانى» جادٌّ فى مواصلة سعيه للاستيلاء على أراضى الشمال، ومن ثمَّ، قرر «موتلى» أن «رمسيس» لابد وأن يُلَقَّن درسًا، وتعهّد أمام آلهة «خيتا» بأنه سوف يسترد أمورو، ويمنع المصريين من الاستيلاء على قادش، ويطارد رمسيس على طول طريق عودته إلى مصر.

الإعداد للمعركة

إبَّان ربيع سنه 1274ق.م.، قام «موتلى» بجمع جيشٍ حاشد، وتُشير السجلات المصرية إلى أن الحيثيين قد نجحوا فى حشد 2500 عجلة حربية و37000 رجل، وقد سجّل كَتبة الأسرة المالكة هذا الحدث

قائلين: «والآن جاء العدو الحيثى القبيح، وأحضر معه جميع الأراضى الأجنبية مجتمعةً حتى أقاصى البحر، لقد جاءت جميع أراضى خيتا، وكذلك أرض نهارينا، وأرض أورزاوا وداردنى، وأرضى كشكش، وأراضى ماسا، وأراضى بيداسا، وأرض إيرُن، وأرض كاركيشا، وأرض لوكا، وكيزووادنا، وكاركامِش، وأوغاريت، وكيدى، وجميع أراضى ناجز، وما شانت، وقادش، ولم يترك بلدًا إلا وأحضرها معه، من جميع تلك الأراضى البعيدة، ومعه قادتها، كلٌ أتى بمُشاته وعجلاته الحربية، أعداد غفيرة لا مثيل لها، غطت الجبل والوديان، وكانت تشبه الجراد فى كثرتها، لم يُخلّف وراءه فضة فى أرضه، فقد جَرّدها من كل ممتلكاتها وقدمها لجميع البلدان الأجنبية كى يخرجوا معه للقتال». أما «رمسيس»، فقد قام بإعداد جيشه فى «بر رعمسيس»، بشرق الدلتا، وتشير الأدلة الأثرية إلى أنه قد تم إنشاء مصانع ضخمة لصَهر المعادن، وذلك فى الثكنات الموجودة بالمدينة، وفيها تم إنتاج الآلاف من الفؤوس، ورؤس السهام، ورؤوس الرماح، والمُدى (السكاكين)، والسيوف، بصورةٍ عاجلة، كما تَمَّ تصنيع العجلات الحربية أيضًا، فى هذا المكان، كما أن المئات، إن لم يكن الألوف، من الخيول قد تم تجهيزها وتدريبها.

وفضلاً عن الأسلحة التى كانت مُستعملة منذ الدولة القديمة، والتى

تشتمل على الرماح، والفؤوس، والأقواس والسهام، فقد كان هناك عددٌ من الاختراعات ذات التقنية التى ظهرت إبَّان الدولة الحديثة.

وباتت العربات التى تجُرّها الخيول، والتى أدخلها لأول مرة الهكسوس إبَّان الفترة الوسيطة الثانية، بمثابة وسيلة الإنتقال المُفَضلة لدى الأثرياء من شباب المصريين، وكثيرًا ما كان يظهر الملك كذلك على جدران المعابد، وهو يقاتل أعداءه من على متن هذه العجلة الحربية، كما كانوا يستعملون حينئذٍ، الدروع المصنوعة من شرائح برونزية صغيرة، يتم حياكتها فى سُترات ٍمصنوعة من الكتان أو الجِلد، لحماية أجسامهم، وقد تم العثور على نموذج من الجلد لأحد هذه الدروع بمقبرة «توت عنخ آمون»، وصارت الأقواس الآن مصنوعةً من قرون الماعز والعظام التى يتم تثبيتها على الخشب بواسطة الغراء، وتُعد هذه النوعية من الأقواس أكثر قوةً، كما أنها يمكن أن تسدد السهام إلى مسافاتٍ أبعد– تزيد على 275 متراً من تلك المصنوعة من الخشب فحسب، كما تم اختراع أحد الخناجر الخاصة، وهو عبارة عن سيفٍ ذى نصلٍ معقوف، أُطلق عليه اسم «خِبش» فى ذلك الوقت.

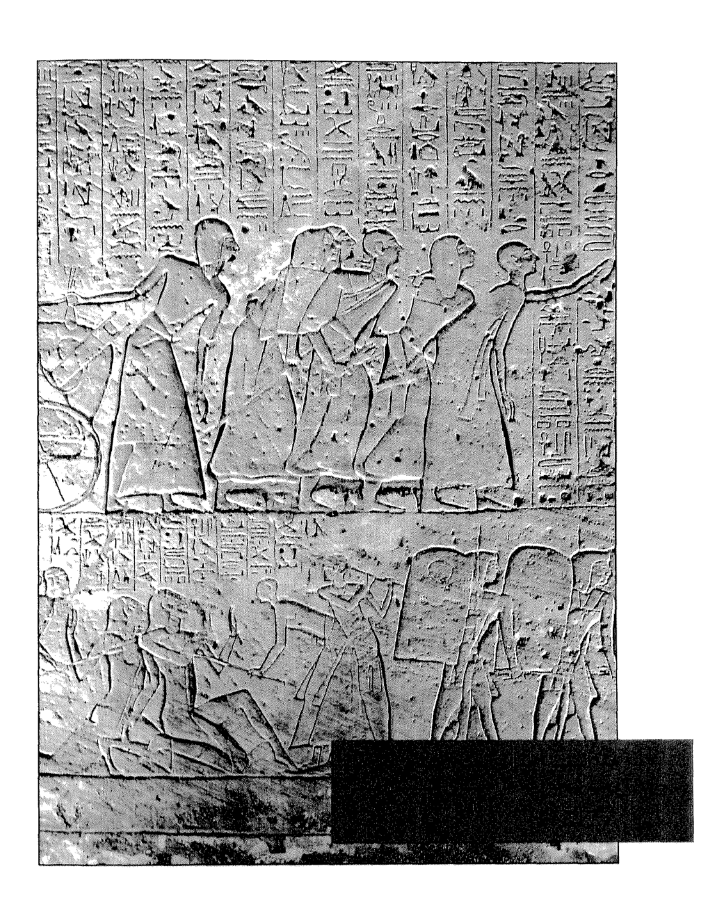
وتم اتخاذ القرار بأن يسير رمسيس، والجزء الأكبر من جيشه، برًّا، من شرق الدلتا إلى قادش، بينما تقوم تعزيزات من القوات، بالإبحار إلى الساحل، ومن ثمَّ، تواصل سيرها برًّا لملاقاة الفرعون، وانطلق

«رمسيس» على رأس جيش قِوامه 20000، رجل وعجلات حربية، وكان الجيش مقسمًا إلى أربع فرق، قوام كل منها 5000 جندى، وكانت أسماء هذه الفِرَق هى: «آمون» (يُرجَح أنها مُكونة من رجالٍ من إقليم طيبة)، و«رع» (من هليوبوليس)، و«بتاح» (من منف)، و«ست» (من شرق الدلتا)، كما اصطحب «رمسيس» كذلك أحد الوزيرين، وبعضًا من أبنائه، وهيئة موظفى قصره، وحارسه الشخصى، كما رافق القوات والخيول والعجلات الحربية، الدواب والعربات التى تجرها الثيران، وذلك لحمل الطعام، والماء، والأسلحة، والخيام، وبعض المؤن الأخرى الضرورية، وقد سَجلَ كتبة «رمسيس» هذا الحدث قائلين: «ارتحل جلالته صوب الشمال، ومعه مشاته وعجلاته الحربية، وبدأ المسيرة على ما يرام فى السنة الخامسة، فى الشهر الثانى من الصيف، فى اليوم التاسع، ومرّ جلالته على حصن صِيلع (فى الجانب المصرى من صحراء سيناء)، ولكونه ذا صولة، صاحب بأسٍ، مثل الإله «مونتو»، فعند ظهوره، ارتعدت أمامه جميع الأراضى الأجنبية، وقدم قادتهم الهدايا، وجاء جميع المتمردون ، وانحنوا أمامه خِشيةً من قوة جلالته».

بعد سفرٍ دام شهرًا كاملاً، وصل الجيش إلى «كمدى»، ومن ثمَّ، انطلق «رمسيس»، وقواته، وحارسه الشخصى، وفرقة «آمون»، بعد

ذلك صوب الشمال، نحو النهر العاصى، الذى كان ينبغى عليهم عبوره كى يصلو إلى مدينة قادش، أما الفرق الثلاثة الأخرى، فقد مضت وراءهم، وانتشر الجيش لمسافات طويلة.

أثناء سيرهم فى أحراش لابوى، عثروا على اثنين من رجال قبائل البدو مختبئين بين الأشجار، وذكرا أنهما فارّان من جيش الحيثيين، وأنهما قد جاءا كى يقاتلا مع «رمسيس»، «سوف نصير عبدين لدى فرعون، ونترك قائد خيتا»، كما أخبرا الملك كذلك أن جيش الحيثيين الحاشد يوجد على مسافة 192 كم إلى الشمال، «إن العدو الحيثى متمركز فى أرض حلب الواقعة شمال «تونيب»، ويتملكه الرعب الشديد من فرعون، حتى إنه يخشى التقدم صوب الجنوب، بعدما سمع بمجىء الفرعون بجيوشه للشمال». ومن ثمَّ، ملأ السرور نفس «رمسيس» ومستشاريه، لدى سماعهم لهذه الأخبار، ذلك أنها تُشير إلى أنه سوف يكون فى وسعهم، غزو قادش، دون أدنى مقاومة تُذكر، ومن ثمَّ، قام، هو وفرقة «آمون»، بعبور النهر، ومضوا شمالاً نحو المدينة، وشرعوا فى إقامة معسكرٍ لهم، فى السهل الواقع إلى الغرب. إلاّ أنه، ما إن قام «رمسيس» وفرقة «آمون» بنصب خيامهم، بينما كانت فرقة «رع» تواصل سيرها فى السهل صوب المعسكر، وكانت فرقتا «بتاح» و«سِت» تقومان بإعداد العدة لخوض النهر نحو الجنوب،



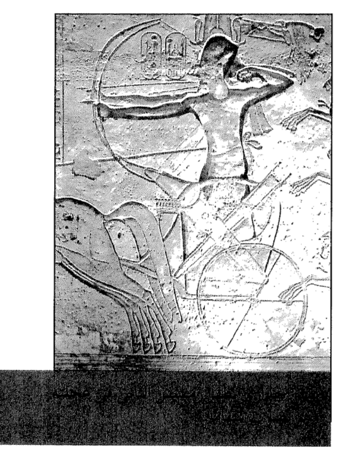
إذا بكارثة تداهمهم، ذلك أن الجيش كان يتملكه الشعور بالطمأنينة الناجمة عن شعور زائف بالأمن، بناءً على المعلومات التى حصلوا عليها من البدويين اللذين ألقوا القبض عليهما، والتى ذكرت أن جيش الحيثيين مازال على مسافة سفر أيام، إلاّ أن رجال الاستطلاع الذين تم إرسالهم من معسكر «رمسيس» عادوا الآن، وقد ألقوا القبض على جاسوسين آخرين من الحيثيين بالقرب من قادش، ومن ثمَّ، مثلا أمام الفرعون، «سألهما جلالته قائلاً: «من عساكما أن تكونا؟» فردا قائلين: «نحن نتبع حاكم خيتا، وهو الذى أرسلنا للتعرف على مكان جلالتكم»، فسألهما جلالته: «أين هو ذلك العدو الحيثى؟ فلقد سمعت أنه موجود بأرض حَلب الواقعة شمال تونيب»، فردّا قائلين: «انظر، لقد وصل حاكم خيتا بالفعل، هو وجميع الأراضى الأجنبية التى تحالفت معه.... ولقد أعدوا عدتهم من المشاة والعجلات الحربية وعتاد الحرب، وإن أعدادهم تفوق، فى كثرتها، حبّات الرمال الموجودة على الشاطئ، انظر، ها هُم متأهبون ومدججون بالسلاح، وعلى استعدادٍ للقتال دفاعًا عن قادش!». يالها من كارثة! إن الجيش الحيثى ليس على بُعد حوالى 192 كيلومترًا، بل فى وسعه مهاجمتنا فى أية لحظةٍ. تملك «رمسيس» الحنق الشديد من عدم جدوى رجال مخابراته، ومن ثمَّ، قام باستدعاء كبار ضُباطه

لإطلاعهم على الأخبار المُروّعة: «انظروا ما هى حالة حُكام أقاليمى وكبار ضُباطى، الذين خروجوا يذيعون فى الناس كل يومٍ قائلين «ها هو حاكم الحيثيين موجود فى حَلَب، الواقعة إلى الشمال من تونيب! ولكن الآن، وفى هذه الساعة عينها، سمعتُ من هذين الجاسوسين الحيثيين، أن هذا الحاكم الحيثى قد وصل بالفعل هو وحلفاؤه، وقواته التى لا تُعد ولا تُحصى، بل أكثر من ذلك، فإنهم الآن مختبئون وراء قادش، وعلى أهبة الاستعداد، وهاهم القادة والضباط المسئولون عن أراضىَّ، لم يتمكنوا من اكتشاف وصولهم، وإخبارنا بذلك!»

بدء القتال

تم اتخاذ تدابير وقائية فى معسكر فرقة «آمون» قدر ما يمكن، فأُرسِل الوزير على وجه السرعة مُمتطيًا جواده إلى فرقتى «بتاح» و«سِت»، كى يبلغهما بالإسراع فى عبور النهر، بينما اتجهت فرقة عائلة الملك التى رافقته إلى موقع المعركة، صوب الغرب تحت قيادة أحد الأمراء حتى تكون بمنأى عن الخطر.

كانت كل هذه الاستعدادات العاجلة تدور تحت سمع وبصر جيش الحيثيين بقيادة «موتلى»، ذلك أن جيشه كان مختفيًا على الضفة الشرقية من النهر، قُبالة المدينة، وقد شاهدوا وصول الملك



[redacted]

المصرى وفرقة آمون إلى الموقع، كما أمكنهم كذلك مشاهدة فرقة «رع»، وقد انتشرت فى جميع أنحاء السهل، وفضلاً عن ذلك، فإن مجرد رؤية الوزير وهو يعدو بجواده صوب الجنوب، كان ذلك بمثابة الإشارة التى كانوا ينتظرونها للهجوم.

وفجأةً، انطلقت قوات حاشدة من العجلات الحربية، تحت قيادة عدد من الأمراء الحيثيين، نحو الغرب، عبر النهر، جنوب المدينة، ومن ثمَّ، تقدموا نحو الجيش المصرى، الذى مازال مصطفًا بشكلٍ جُزئى على امتداد مسيرته، إلا أن فرقة «رع» قد أُخِذت على حين غرةٍ من أمرها، فلقد نسى الجنود كل ما تلقوه من تدريبات عسكرية، بسبب ما قد أصابهم من هلع، وبدلاً من التصدى، والمقاومة، تشتتوا وفروا إلى الشمال، وبذلك قادوا العدو مباشرةً إلى معسكر المصريين.

وما إن رأى الكثيرون من فرقة «آمون» هؤلاء الجنود الذين أصابهم

الذهول، وتلك السحابة الهائلة من الغبار، التى خلفتها وراءها العجلات الحربية للعدو، والمتجهة صوبهم، حتى فقدوا هم أيضًا صوابهم، وأخذوا يتدافعون فى كل مكانٍ فى فوضى، وعدم انتظام، ومن ثمَّ، اجتاحت عجلات الحيثيين الحربية المعسكر، واقتحمت دروع خط الدفاع المنتشرة على امتداد الجانب الغربى من المعسكر، وهكذا بدا وكأن كل شىءٍ قد ضاع، فجيش «رمسيس» أخذ ينفض من حوله، أكثر من ذلك بدا أن «رمسيس» نفسه سوف يقع فى الأسر، أو يلقى مصرعه على يد العدو.

وما لبث أن ارتدى «رمسيس» درعه، وقفز إلى عجلته الحربية، وعبثًا حاول إعادة تجميع قواته الذين أصابهم الهلع، إلا أنه كان على استعدادٍ لمواصلة القتال حتى النفس الأخير، وقد حكى بعد ذلك هذه الأحداث على هذا النحو: «عندما رأى «مِنّا»، حامل دروعى، أن عددًا هائلاً من العجلات الحربية قد أحاطت بى، خارت قواه، وأُسقط ما فى يده، وارتعدت أوصاله من شدة الخوف، وأخذ يصيح إلى جلالته قائلا «سيدى العظيم، أيها الأمير الجبّار، إننا نقف بمفردنا فى وسط المعركة، وقد تخلى الجنود عنّا، وكذا العجلات الحربية، فلما بقيت لإنقاذهم؟ فلننجُ بأنفسنا، أنقذنا يا أوزر-ماعت-رع سيتيبنرع!»، فرد جلالته على حامل دروعه قائلاً «اثبت فى مكانك،

وانصب قامتك، يا حامل دروعى! سوف أنقض عليهم مثل انقضاض الصقر على فريسته، وأحصُد أرواحهم». ثمَّ اندفع جلالته إلى الأمام، مُنطلقًا بجواده وسط العدو. وأخذت أُطاردهم مثل «بَعل» (إله الحرب عند السوريين) فى أوج قوته، وأخذت أقاتلهم دون هوادة».

وأفلح «رمسيس» فى البقاء على قيد الحياة، ومواصلة هجماته على الحيثيين، بينما كانت قواته قد أصابها الذعر والهلع، ومن غير الواضح إلى أى مدى أفلح فى مواصلة هذا الأمر بمفرده، إلا أن العون والمدد قد وصله فى اللحظة التالية، فبغتةً ظهرت فرقة الجنود التى أبحرت إلى ساحل سوريا، وواصلت سيرها شرقًا حتى توغلت إلى داخل الأراضى، وذلك للحاق بجيش الملك، وما لبثت أن بدأت الفرقة هجومها على الفرسان الحيثيين.

عندئذ وجد الحيثيون أنفسهم مُحاصرين بين «رمسيس» الذى استشاط غضبًا، وجيش جديد تمامًا، وصل لتوّه من الغرب، فلقد جاءت هذه القوات الإضافية بصورة مباغتة تمامًا للحيثيين، الذين من الواضح أن جواسيسهم لم يكونوا أكفاء. ونجح «رمسيس»، هو والفرقة الجديدة سويًّا فى رد الحيثيين على أعقابهم بعيدًا عن المعسكر، ومن ثمَّ أخذ هؤلاء الحيثيون يتساءلون، فيما بينهم، عما إذا



كان هناك مزيدٌ من الفِرق المصرية التى يمكن أن تظهر لهم على حين غِرَّة، وأخذوا يفرون نحو النهر، وإلى معسكر الحيثيين الرئيسى الموجود شرقًا.

لم يمضِ «موتلى» مع قواته، بل ظل فى معسكر الحيثيين، وبينما كان يستمع إلى دَوِّى المعركة الذى يترامى إليه من بعيد، ربما خالجه الشعور بأن المصريين قد لاقوا هزيمةً نكراء، ولابد وأنه صعق تمامًا حينما رأى عجلات الحيثيين الحربية، وهى تفر هاربةً إلى النهر، أمام القوات المصرية، بقيادة الفرعون، وأمام عينى «موتلى» اللتين ملأهما الفزع والرُعب، كان الجيش الحيثى يصارع ليجد طريقه إلى المياه، مع الجنود والأمراء على حد سواء، الذين قطعوا النهر سباحة كى ينجوا بحياتهم، بل أكثر من ذلك، يُظهر أحد المشاهد الموجودة على جدران معبد الرامسيوم «ريبيار»، أمير حلب، وقد ابتلع كميات غزيرة من مياه النهر أثناء عبوره له إلى حد أن اضطرّ خَدمه إلى رفعه من كاحليه، وهو مقلوبٌ رأسًا على عقب، وذلك لإفراغ المياه من جوفه.

وبينما كان الحيثيون يناضلون من أجل العودة إلى معسكرهم، وصلت أخيرًا فرقة «بتاح»، وعلى رأسها الوزير، ووجدت أيضا فلول فرقتى «آمون» و«رع» طريقها إلى المعسكر المصرى، كما وصلت فى نهاية الأمر، فرقة «ست» فى وقتٍ متأخر من تلك الليلة.

عواقب المعركة

أمضى كلا الحاكمين مساءهما فى تقييم الخسائر التى لحقت بجيشيهما، فقد عانت فرقتا «آمون» و«رع» من خسائر كبيرة فى الأرواح، أما فرقتا «بتاح» و«ست» فقد ظلتا كما هما دون أى مساس بهما، وكذلك أيضًا الجزء الأكبر من قوات التعزيزات، لم يلحق بها أى ضرر، أما فرقتا الحيثيين من المشاة، اللتان يبلغ قوامهما معًا أكثر من 30000 من القوات، فلم يصبهما أى ضرر، إلاّ أن فرقة الفرسان قد عانت من خسائر فادحة، ومما أدخل الحزن إلى نفس «موتلى» هو مصرع العديد من قادة جيشه فى ميدان المعركة، أو غرقًا فى النهر، كما اشتملت الخسائر أيضًا، على فقدان اثنين من إخوة الإمبراطور، واثنين من حملة دروعه، وأمين سره، ورئيس حَرسه الشخصى.

والآن واجه أكبر جيشين عرفهما التاريخ، بعضهما البعض، عبر نهر العاصى، ولم تكن معارك واسعة النطاق بهذا الحجم، بين الجيوش المتنافسة، من أنواع الحروب المعتادة إبَّان ذلك العصر، فقد اعتاد المصريون على أن يتغلّبوا على دويلات صغيرة، دويلة واحدة فى كل مرة، بينما يُفضل الحيثيون نصب الأكمنة لأعدائهم، وعلى الرغم من ذلك، قام «رمسيس» فى وقت مبكر من صباح اليوم التالى، بمهاجمة معسكر الحيثيين بضراوة.

وعاد «رمسيس» هو وجيشه للاحتفال بالنصر وامتلأ «رمسيس» زهوًا وتيهًا بهذه الحملة، إلى حد أنه أصدر أوامره بنقش نسخ عديدة من قصتها على جدران معابد عديدة فى مصر، من بينها معبد الكرنك، والأقصر، والرامسيوم، وأبيدوس، وأبو سمبل.

وإبَّان 1273ق.م ركز «رمسيس» جهوده فى إعادة بناء جيشه فى الداخل، غير أن عددًا من الرعايا المصريين فى كنعان وسوريا، فهموا هذا الأمر على أنه دلالة على الضعف، ومن ثمَّ، بدأوا فى إظهار عصيانهم للأوامر المصرية، وامتنعوا عن دفع الضرائب.

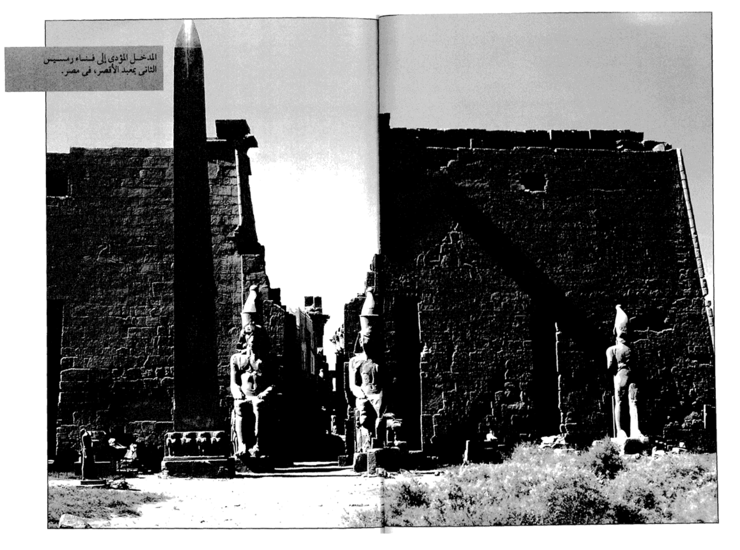
وفى ربيع 1272ق.م، وجه «رمسيس» مرة أخرى اهتمامه نحو الشمال، ومن ثمَّ سار إلى غزة، ومالبث أن قضى على جماعات من رجال القبائل البدوية من قُطاع الطُرق، الذين كانوا يحدثون قلاقل واضطرابات، كما خرج ابنه الأكبر الأمير «أمنحيرونمف»، الذى غير اسمه الآن إلى «أمِنحيرخوبشِف»، على رأس جيش آخر نحو الشمال، وسويًّا أعادا تأكيد سطوة مصر فى كنعان، وفى العام التالى (1271ق.م)، خرج «رمسيس» على رأس جيش إلى الشمال مرة أخرى، وتقدم فى سيره حتى وصل إلى حدود تونيب، وخلف وراءه تمثالاً له فى المعبد الرئيسى بمدينة «دبور»، ثمَّ عاد بعد ذلك إلى مصر منتصرًا.

لماذا لم يَرُدّ الحيثيون على هذا الغزو الاستفزازى الثانى؟ السبب يرجع إلى أنه بعد عدة سنوات من اعتلائه العرش الحيثى، وافت «موتلى» المنية، وخلفه على العرش ابنه، «أورخى- تيشوب»، الذى لم يكن محبوبًا من شعبه، والذى تولَّى الحُكم باسم «مورسِيل الثالث»، والذى كان منشغلاً فى صراعٍ سياسى داخلى مع عمه القوى «خاتوسيلى»، ومع ذلك فقد عادت تونيب إلى حُكم الحيثيين بمجرد مغادرة «رمسيس» لها، وفى السنة العاشرة من توليه الحُكم (1269ق.م)، عاد «رمسيس» مرةً أخرى إلى دبور، واستمرت هذه الحملات السنوية حتى تم التوصل إلى حل أنهى الوضع فى السنة الحادية والعشرين.

حدود الإمبراطورية

وجه رمسيس اهتمامه الآن إلى النوبة فى الجنوب، فأصدر أوامره بتشييد معبدين، يتم نحتهما فى باطن الجبل بالبر الغربى من النيل، على مسافة غير بعيدة جنوب أكشه، يضم أحدهما أربعة تماثيل ضخمة للملك، يتم نحتها فى واجهته الصخرية، أما المعبد الآخر، فيتم تخصيصه للإلهة «حتحور»، والأميرة «نفرتارى» زوجة الملك، كما يتم زخرفة واجهة هذا المعبد بتماثيل للملك والملكة بالتبادل، ومن ثمَّ، أرسل رمسيس أحد أصدقائه القدامى، ويُدعى «آشاحبسِد»، لتولى شئون النوبة، وكذا الإشراف على سير العمل بالمعبدين.

ولا تتوافر لدينا سوى بضعة وثائق قليلة، يمكن أن نستشف منها ما كان يقوم به الملك فى الفترة ما بين السنة العاشرة، والسنة الثامنة عشرة، وعلى الرغم من أن المعابد التى قام بتشييدها «رمسيس الثانى»



المدخل المؤدي إلى فناء رمسيس الثانى بمعبد الأقصر، فى مصر.

كانت تُغطيها مشاهد لحروبه مع الأعداء فى الشمال والجنوب على حدٍ سواء، إلا أنه ليس من اليسير دائمًا التعرف على ما كان يحدث تمامًا.

ومن الواضح أنه فى وقتٍ ما فى العام العشرين من حكمه، قام بعض النوبيين بالعصيان، وحاولوا التخلص من حُكامهم المصريين، ومن ثَمَّ، قام «رمسيس» بإرسال جيش، تحت قيادة ابنيه «سيتيمويا» و«مرنبتاح»، لمساعدة نائب الملك فى النوبة، وسرعان ما تمكنا من السيطرة على هؤلاء العصاة، وعادا إلى مصر وفى صحبتهما 7000 أسير، وللاحتفال بهذا النصر، تم تشييد مدينة جديدة بمنطقة عَمارا، أُطلق عليها اسم «رمسيس المدينة». كما أصدر «رمسيس» أوامره بإقامة مجموعة معابد بالنوبة فى بيت الوالى، وجرف حسين، ووادى السبوعة والدر.

كان الشعب فى مصر ينظر الى رمسيس كملك وانسان ذى صفة إلهية، إبن «أوزيريس» وممثل لـ«حورس» على الأرض. غير أنه فى النوبة كان رمسيس يصور كإله حقيقى. وكان النوبيون شعبًا مستعمرًا، وتحت السيطرة الحازمة من مصر، وفى هذه الحالة، كان يجب على القوة المسيطرة أن تدخل الرهبة فى نفوس الناس، عن طريق الرسومات والتماثيل التى تزيد

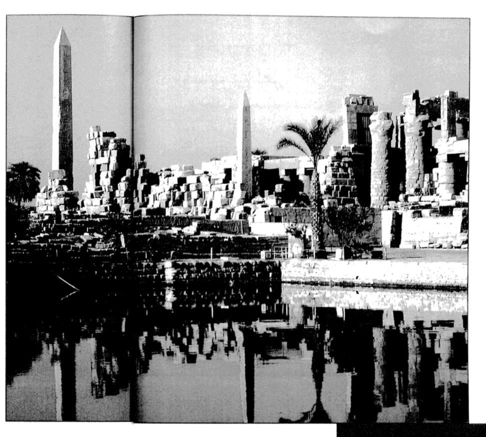
إحساسهم بقوة المنتصر.

تم نحت تماثيل ضخمة للملك كإله، لإدخال الرهبة والطاعة فى نفوس أهل النوبة. وبناء على ذلك، أصدر رمسيس أوامر بإقامة التماثيل له بحجم مبالغ فيه، باعتباره إله، وتقام هذه التماثيل فى واجهة المعابد التى تم بناؤها بعد ذلك.

حصون الحدود الشمالية الغربية

كانت هناك كذلك بعض أحداث الشغب، على أطراف الحدود الغربية للإمبراطورية المصرية، فمع بداية تولى «رمسيس الثانى» للحُكم، لم تُحدث التكتيكات العسكرية التقليدية- فرق صغيرة من المحاربين، تقوم بضربات سريعة خاطفة على وادى النيل- سوى متاعب ومُنغصات ثانوية لدى المصريين، وكانت ليبيا تعانى حينذاك، من حِقبة طويلة ساد فيها الجفاف، ومن ثمَّ، أخذ سكان عشائر كاملة من البدو الرُحَّل، فى السير شرقًا عبر الصحراء، نحو دلتا نيل مصر، وكانت هذه الجماعات تتكون من رجال، ونساء، وأطفال، فضلاً عن جميع متاعهم الدنيوى، بما فيها قطعان الماعز والأغنام.

وثمة جماعة أخرى تعرف بـ«شعوب البحار»، وكانوا يتكونون من لاجئين من حروب اليونان وسردينيا، فضلاً عن قراصنة من



جنسيات مختلفة، وكانوا يبحثون كـذلك عـن أمـاكـن جـديـدة للإقامة، والعيش فيها، ويهددون سواحل البحر الأبيض المتوسط عن

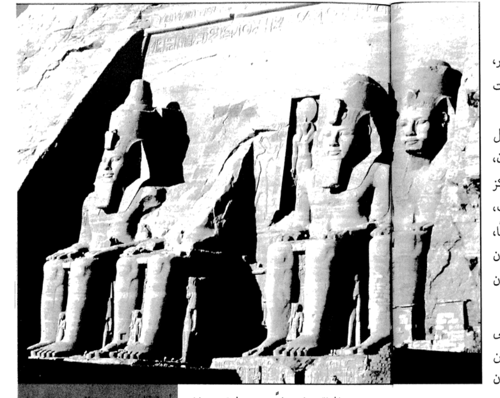
طريق البحر. وهكذا قرر «رمسيس» أنه لابد من اتخاذ إجراء صارم، فأنشأ سلسلة من الحصون تمتد شمالاً من منف بمحاذاة الأطراف الغربية للدلتا، حتى البحر، ثمَّ تتجه غربًا على امتداد الساحل، حتى تصل إلى ليبيا، وأبعد هذه الحصون، كان يقع بمنطقة زاوية أُم الرَّخم، والتى تقع على مسافة حوالى 300 كيلومتر غرب مدينة الإسكندرية.

وهـذا الحصـن كـان يـقـع علـى بُعـد مسيرة أسـبـوع- عـلـى الأقـل- من حافة الصحراء الغربية، وهو مربع الشكل، تبلغ أبعاد أسواره 150 مترًا طولاً، و5 أمتار سُمكًا، وما يربو على 10 أمتار ارتفاعًا، كما أن له مدخلاً واحدًا فقط فى الجهة الشمالية منه، وتحميه أبراج من الحجر الجيرى، وكانت الأسوار تحيط بما يمكن أن يكون مدينة صغيرة من الناحية الفعلية، حيث كانت يوجد بها المعابد، وقصر لقائد الجيش ويُدعى «نِب رع»، وصفوف من المخازن، وآبار لتوفير المياه العذبة، وقرية بها منازل صغيرة لسُكنى الجنود، وورش

لتصنيع الأسلحة وإصلاحها، وأفران لتصنيع الفخار، وإسطبلات للخيول، وأرض مخصصة للعجلات الحربية.

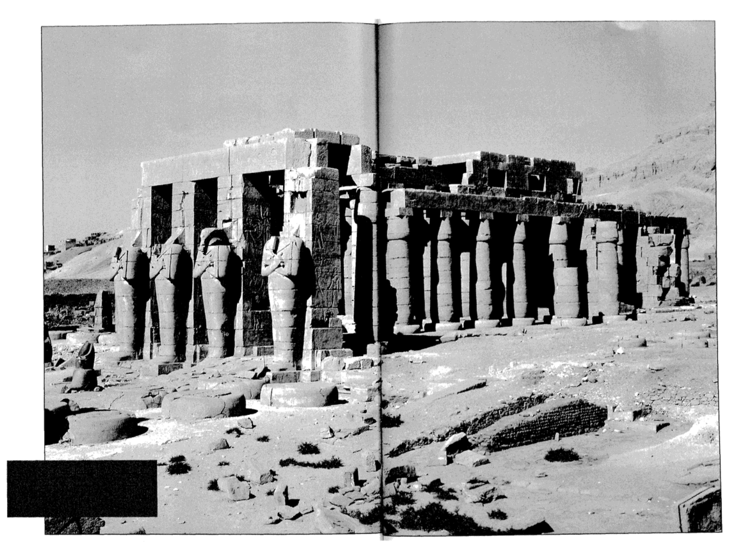
كما أنه كان يتم استيراد بعض السِلع الأخرى، مثل زيت الزيتون وسلع أخرى من كريت، واليونان، وقبرص، وسوريا، مما يُظهر أن الحصن كان بمثابة مركز للتبادل التجارى للذين كانوا يبحرون جنوبًا من كريت، ومع ذلك فلقد كان الحصن مكانًا موحشًا، ومخيفًا، للإقامة فيه، ذلك لأنه كان يقع فى قلب الخلاء، كان المصريون يُطلقون عليه «أقاصى الأرض»، كما أنه كان مُحاطًا برجال قبائل ليبيين مُعادين لهم.

ويُرجَّح أن بقية الحصون الأخرى التى تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط، تحاكى ذلك الحصن من حيث الحجم، وقد تحولت كذلك بعض المدن الموجودة حينذاك، بمحاذاة الحافة الغربية للدلتا إلى حصون، وقد أظهرت أعمال التنقيب فى بعض المواقع، مثل تَل أبقعين، أن هذه المدن كانت مُحاطة بنفس الأسوار المبنية من الطوب اللبن، وبنفس الارتفاع، والسُمك، وقد خلّفَ رمسيس أثرًا له فى جميع هذه



أربعة تماثيل لدرمسيس، تقوم على حراسة مداخل معبده بأبى سمبل

المواقع، ففضلاً عن تغطية جدران المعبد بلوحات له، قام أكثر من ذلك، بنقش اسمه داخل الآبار الجديدة المبنية من الحجر الجيرى، والتى تم بناؤها لتوفير المياه العذبة للسكان.



[redacted]

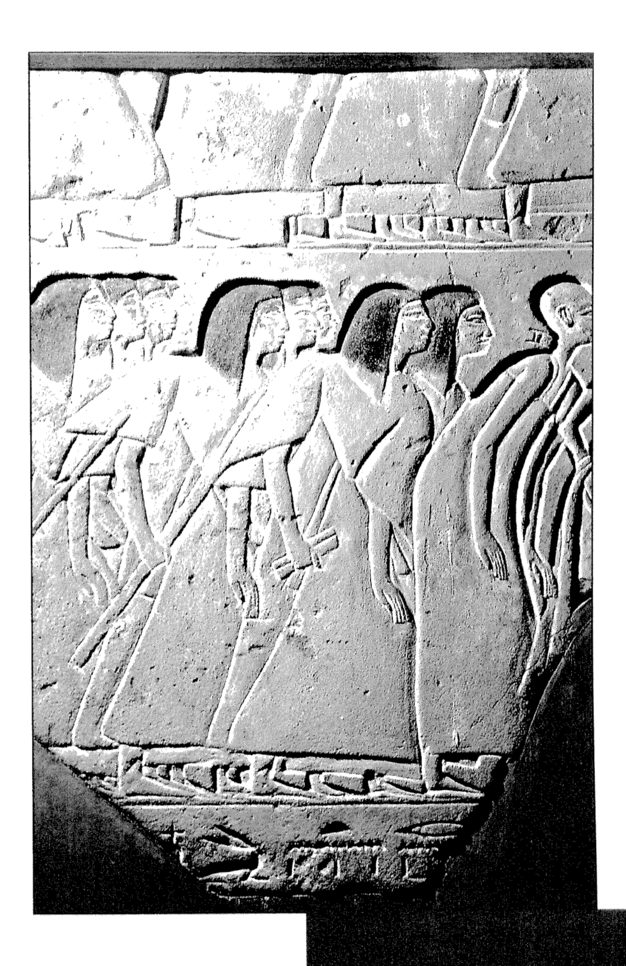
وفى الوقت نفسه، تواصلت أعمال البناء فى المدن الأخرى بجميع ربوع مصر، فاكتمل بناء العاصمة الجديدة فى «بر-رعمسيس»، كما تمّ تشييد معابد ضخمة لـ«آمون»، و«رع»، و«بتاح»، و«سِت» فى أركان المدينة، وظل قصر «سيتى» الصيفى الأصلى كما هو فى وسط المدينة، وقام رمسيس بتوسيع بنائه، وذلك بإضافة صالات، وقاعة استقبال، وحجرات، وأجنحة لحجرات النوم، وحدائق، كما قام كذلك ببناء قاعة فسيحة للاحتفال فيها بيوبيله الأول، فى السنة الثلاثين (1249ق.م)، كما كان للعديد من النبلاء، وموظفى الحكومة، دور فسيحة فى هذه المدينة الجديدة، وكذلك أيضًا، كانت موطنًا للآلاف من أصحاب الحِرف، والجنود، والتجار، وسرعان ما باتت المدينة معروفة فى جميع أرجاء مصر وخارجها، وذلك لجمال مبانيها الجديدة الخلابة، ويصف الكاتب «بيبزِ» هذه المدينة الجديدة فى رسالةٍ إلى سيده فيقول: «لقد وصلتُ إلى بر رعمسيس، معشوقة «آمون»، ووجدتها فى حالةٍ جيدة تمامًا... فالإقامة فيها تسر أنفس قاطنيها؛ وريفها يزخر بكل ما هو صالح، والطعام والشراب متوافران فيها طوال الأيام».

وفى منف، قام «رمسيس» بإضافة قاعاتٍ إلى المعبد الرئيسى لبتاح، كما قام بتشييد سلسلةً من التماثيل الضخمة له، والتى


تمثال من الحجر الجيرى لنبرامونى، أحد كهنة الملك رمسيس.

اصطفّت على جانبى المدخل المؤدى إلى البوابة الجنوبية للمعبد، وقد تباهى بهذا العمل بعد ذلك، من خلال إقامة أحد الأعمدة التذكارية الضخمة فى معبده بأبى سِمبل، حيث يقول: «لقد قُمت بتوسيع بيتك فى منف، وقمت بحمايته بأعمالٍ سرمدية، تنطوى على صنعة رائعة، من الحجر المشغول بالذهب والأحجار الكريمة الحُرة».

أما فى طيبة، فقد تم الانتهاء أخيرًا من بهو الأعمدة بمعبد الكرنك، ومن زخرفته، وأصدر «رمسيس» أوامره بضرورة فتح أبوابه أمام العوام من الناس حتى يتسنى لهم أداء عبادتهم فيه، وأطلق عليه اسم «الموضع الذى يُمَجّد فيه العوام من الناس اسم جلالته» كما تم الانتهاء كذلك من المدخل المؤدى إلى البوابة الضخمة، وفناء معبد الأقصر، حيث يقف الآن ثلاثة عشر تمثالاً ضخمًا للملك بهذا الفناء الجديد، كما يوجد أيضًا تمثالان جالسان، وأربعة تماثيل أخرى واقفة

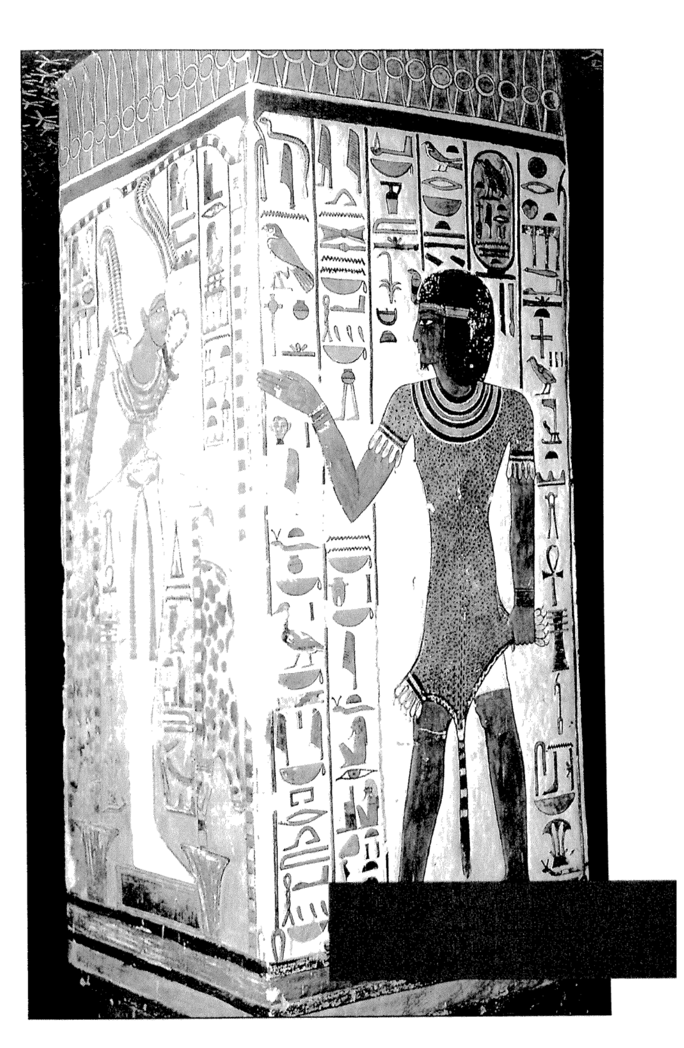


للملك أمام المعبد، حتى يتسنى للجميع مشاهدتهم، ويُرجح أن المارة من الناس كانوا يقومون بالصلاة، لها ولغيرها من تماثيل الملك، حتى يمكنه مخاطبة الآلهة داخل المعبد بالنيابة عنهم.

كما تواصل العمل كذلك فى معبده التذكارى، الرامسيوم، بالبر الغربى من النيل، وهذا المعبد هو عبارة عن مزيج من الملامح التقليدية والحديثة، وأبرز ما يلفت النظر من الابتكارات الحديثة، هو تمثال ضخم للملك وهو جالس بالبهو الخارجى، ويُقَدر وزنه بـ1000 طن، والجدران داخل المعبد تزينها موضوعات تقليدية للملك والآلهة، فضلاً عن مواكب لأبنائه وبناته.

السلام مع الحيثيين

بعد مرور سبع سنوات من تولى «مورسِيل الثالث» العرش الحيثى، قام عمه «خاتوسيلى»، الذى كان يحظى بشعبية أكثر منه، بالإطاحة به، ومن ثَمَّ، تَمَّ نفى «مورسِيل»، الذى أُطلق عليه الآن اسم «أوردى-تيشوب»، بسوريا، وهناك حاول إثارة عصيان ضد عمه، إلا أنه سرعان ما تم نفيُه إلى قبرص، وهناك تمكّن من الهرب إلى مصر، وطلب حماية رمسيس الثانى له، ومن هناك واصل حملته ضد «خاتوسيلى».



إلا أنه لسوء حظ «أورخى- تيشوب»، فقد كان «خاتوسيلى» مفاوضًا بارعًا جدًّا، ذلك أنه قام بإرسال أحد الدبلوماسيين إلى مصر حاملاً معه رسالة من إمبراطور الحيثيين، موجهةً إلى فرعون مصر، وبعد سنوات عديدة من القتال، تم الاتفاق بينهما أخيرًا على إبرام معاهدة للسلام، وقد تَمّ حفر نص هذه المعاهدة على لوحين ضخمين من الفضة، بأحد أشكال الكتابة المعروفة بالكتابة المسمارية، وكذلك تم نقش مقتطفات من هذه المعاهدة على جدران معبدى الكرنك والرامسيوم،كما هى مكتوبة كذلك، على لوحٍ من الطين فى حتوّساس، عاصمة الحيثيين، وتشتمل هذه المعاهدة على عددٍ من الفقرات المهمة، فضلاً عن إعلان رسمى للسلام بينهم، واتفق الملكان على وقف القتال وعدم التعدى، وتشكيل تحالف دفاعى، وتسليم اللاجئين السياسيين، والمهاجرين الذين يعيشون عبر الحدود إلى بلدهم الأم.

وتوضح إحدى الفقرات المهمة فى نهاية المعاهدة، ضرورة إظهار المعاملة الإنسانية لهؤلاء الذين ينطبق عليهم شرط التسليم، حيث تنص على: ألا يلحق به أى أذى، أو ببيته ولا زوجاته، ولا أولاده، وألا يُقْتَل، وألاّ يحدث أى أذى لأذنيه، أو عينيهِ، ولا فمهِ، أو قدميه.

وعندئذ، احتفل كلا الجانبين بحلول السلام بينهما، فأرسل

«خاتوسيلى» تحياته إلى رمسيس، كما كتبت زوجته «بودو خبا»، إلى الملكة نفرتارى، التى بدورها ردّت عليها قائلة: «بالنسبة لى، أنا أختك، تسير الأمور على ما يرام، وبالنسبة لبلدى فكل شىء على ما يرام، وآمُل بالنسبة لك يا أختى، أن تكون الأمور على ما يرام، وكذلك بالنسبة لبلدك، أن تسير الأمور على مايرام»، وبعد المزيد من الأمنيات الطيبة، تُنهى رسالتها قائلة: «والآن أنا على مودة وصداقة وعلاقة أخوية مع أختى، الملكة العظيمة، من الآن وإلى الأبد».

وهكذا نشأت المودة بين البلدين، واستمرت المراسلات بين حاكمى البلدين، كما أرسلا إلى بعضهما البعض العديد من الهدايا، التى اشتملت على أشياء من الذهب والجوهرات، وكذلك قام المصريون، الذين اشتُهروا بمهارتهم فى الطب، بإرسال الأطباء إلى العائلة المالكة الحيثية، وفى السنة الثالثة والثلاثين (1246ق.م)، عرض «خاتوسيلى» زواج ابنته من رمسيس، وكانت هذه نهاية حروب «رمسيس الثانى» وتمتعت مصر بالسلام مع جيرانها بصفةٍ عامة، طوال الفترة الباقية من حُكمهِ.

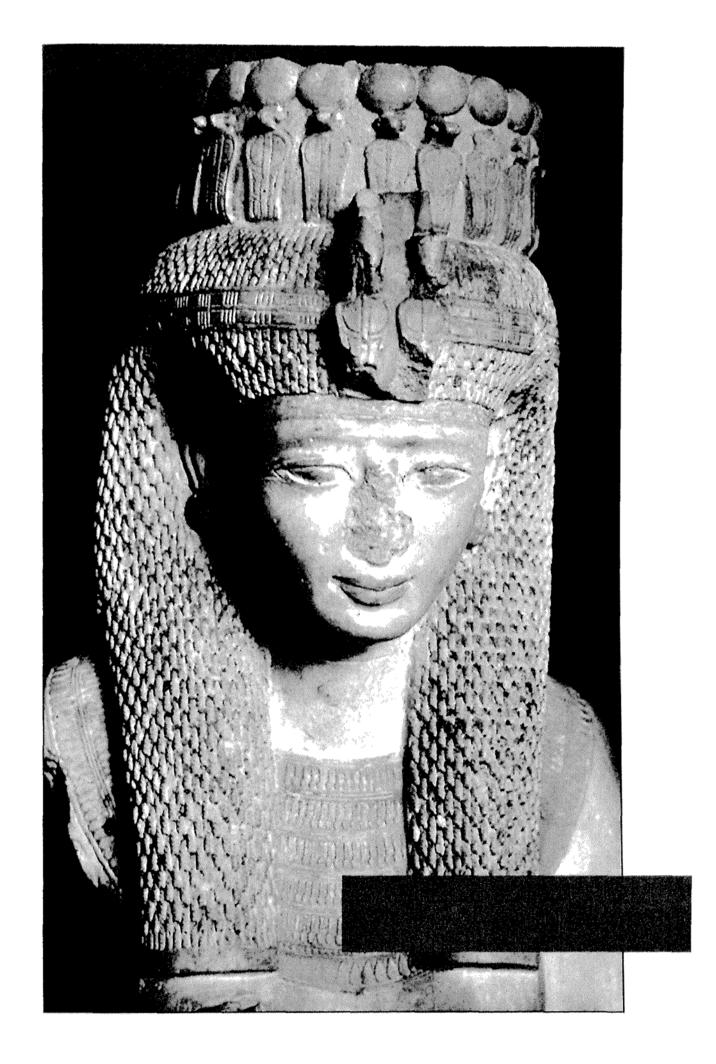
الفصل السادس

الحياة العائلية

كانت الملكة «نفرتارى» أحب زوجات «رمسيس» إلى نفسه، ولقد أنجبت له ما لا يقل عن عشرةٍ من أولاده، من بينهم أكبر أبنائه «أمِنحيرونمِف»، وإحدى أَحّب بناته إليه، «ميريت آمون»، وقد صحبها الملك للاحتفال بافتتاح المعبد الكبير بأبى سِمبل، وذلك فى السنة الرابعة والعشرين (1255ق.م)، ويبدو أن «نفرتارى» قد وافتها المَنّية بعد ذلك بفترة وجيزة، وقد تمّ دفنها فى وادى الملكات، بالبر الغربى من النيل فى طيبة، حيث تُعَد مقبرتها واحدةً من أجمل المقابر فى مصر.

ثمَّ صارت بعد ذلك «إست نفرت» الملكة الرئيسية لمصر، إلا أنه يبدو أنه سرعان ما وافتها المنية بعد ذلك بفترة وجيزة، وإن لم يتم العثور على مقبرتها بعد، وبات رمسيس الآن فى حاجة إلى ملكة جديدة.

تقاسمت «بنت عنث» و«ميريت آمون»، دور الملكة الأولى حتى السنة الرابعة والثلاثين، عندما انضمت إليهما ابنة «خاتوسيلى»، ففى خريف سنة 1246ق.م،



غادرت الأميرة الحيثية القلعة الموجودة بحتوساس، عاصمة الحيثيين، وسافرت عبر سوريا، وكنعان، وسيناء، نحو مصر، واصطحبت معها هدايا من الحيوانات، والعبيد، والمجوهرات النفيسة، ورافقتها والدتها حتى وصلت إلى حدود قادش، حيث التقت الجماعة هناك بالمسئولين المصريين.

وأخيرًا فى فبراير سنة 1245ق.م، وصلت إلى برعمسيس، وكان «رمسيس الثانى» فى استقبالها للاحتفاء بها، وخرجت البلد بأسرها فى احتفال رسمى (تَحمل الملك تكاليفه)، وقد تم نقش وصف هذا الزواج على أعمدة تذكارية، فى جميع المعابد المنتشرة فى ربوع مصر.

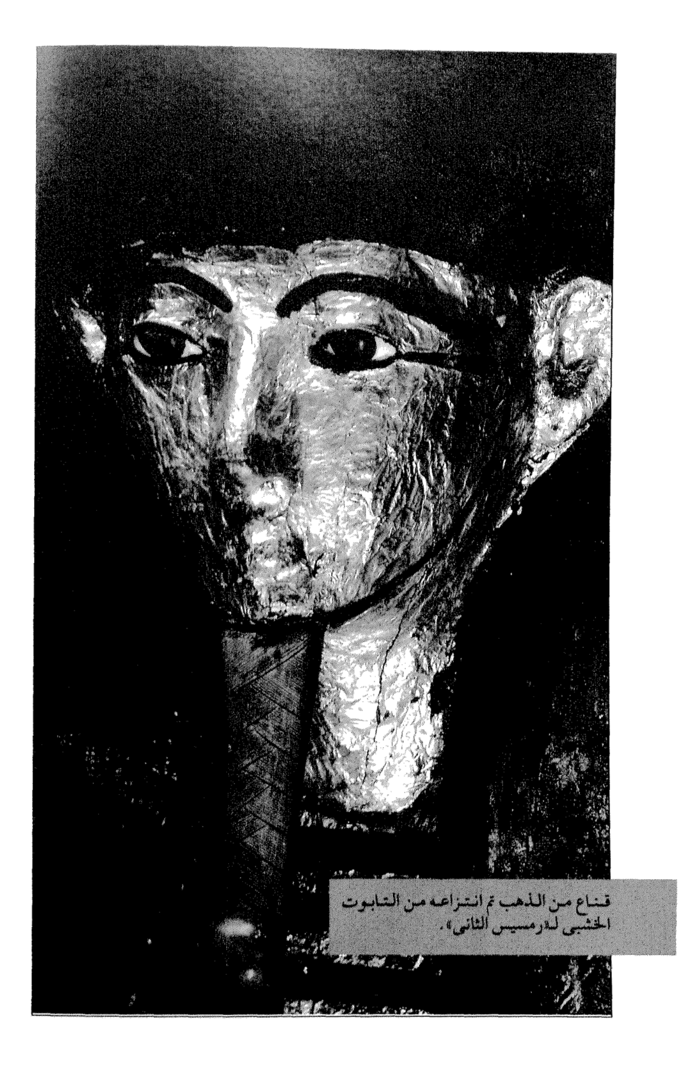
وقرر «رمسيس» أن يُطلق على الملكة الجديدة اسم «ماعت-حور-نفرو-رع»، الذى يعنى «تلك التى ترى الصقر (رمسيس) الذى هو البهاء المنظور لرع»، وعاشت فى القصر الملكى لبعض الوقت، وكُتب عنها فى العديد من النقوش، إلا أنه يبدو أنه سرعان ما بدأت جاذبيتها فى التلاشى، ومن ثمَّ، أخذت فى جمع حاجياتها فى نهاية الأمر، للانتقال للعيش فى قصر الحريم بمنطقة غورب بالفيوم، وبعد ذلك بعشر سنوات، أُرسلت أميرة حيثية أخرى للزواج برمسيس، إلا أنه مما يدعو للأسف، أننا لا نعلم اسمها، ولا كيف صارت الأمور معها بعد ذلك.

كـان لـ«رمسـيس» مـا يصـل إلى 100 من الأولاد، وقد امتد به العُمر بعد وفاة الكثيرين منهم، وفى الفترة من سنة عشرة إلى ستة وثـلاثين، وافت المنيـة الـكـثير مـن أبـنـاء «رمسيس»، ومن بينهم «أمنحيرخوبتشف»، و«برعحيرونمف»، كما كان الأمير «رمسيس» هو الوريث التالى للعرش، إلا أنه هو أيضًا وافته، المَنيّة، فى وقت ما بين سنتى خمسة وعشرين، وخمسين.

وهكذا أصبح الأمير «خع إم واست» هو الوريث التالى للعرش، إلا أن هذا الأمير كان يحيا حياةً دائمة الانشغال بوصفه أحد الكهنة المهمين فى منف، كما أنه كان كذلك مـهـتـمًّا جدًّا بتاريخ مصر وآثارها، وكـان الإشراف علـى مـدينة الموتى بمنف إحدى المهام التى قام بها، ذلك أن مدينة الموتى بمنـف هـى مـوضـع معظـم أهرامات مصر، ومعابدها، التى يرجع تاريخها إلى الدولتين



[redacted]

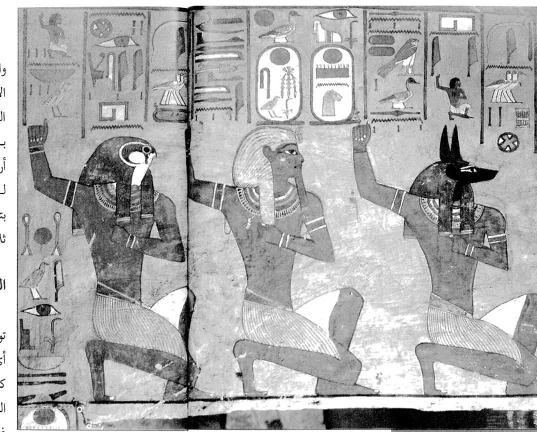


قناع من الذهب تم انتزاعه من التابوت الخشبى لـ«رمسيس الثانى».

القديمة والوسطى، وقد عانت هذه الآثار القديمة من الإهمال لسنوات عديدة، والعديد منها الآن باتت تغطيها الرمال، أو تحولت إلى مجرد أطلال، ومن ثمَّ، حصل «خع إم واست» على إذنٍ من رمسيس للقيام بترميم هذه الآثار، وكذا أيضًا، تصنيف كل هرم طبقًا للاسم الصحيح للملك المدفون بداخله. أما الوريث الخامس فهو، «مِرنبتاح»، الابن الثالث عشر لـ«رمسيس»، وهو الذى خلفه على العرش فى نهاية الأمر.

مهرجانات اليوبيل الملكى

منذ عصر ملوك مصر الأوائل، كانت هنالك ثَمَّة طقوس خاصة يَتِمُّ القيام بها، وذلك لتجديد سُلطات الملك، وكان يطُلق على هذه الطقوس هب-سِد، أو مهرجان اليوبيل، وفى الدولة الحديثة، كان يَتِمُّ الاحتفال باليوبيل الأول للملك فى العام الثلاثين من توليه الحُكم، ثُمَّ يتم الاحتفال به بعد كل ثلاث سنوات، ومن ثمَّ، فإنه فى العام الثلاثين، 1250ق.م، قام الأمير «خع إم واست» بتنظيم اليوبيل الأول لـ«رمسيس»، فى القاعة التى تم تشييدها خصيصًا لهذا الغرض فى بر رعمسيس، وقد استمر هذا الاحتفال الضخم لمدة شهرين، وذلك بحضور جميع كبار الموظفين أمام الملك، مع العديد من المراسم التى

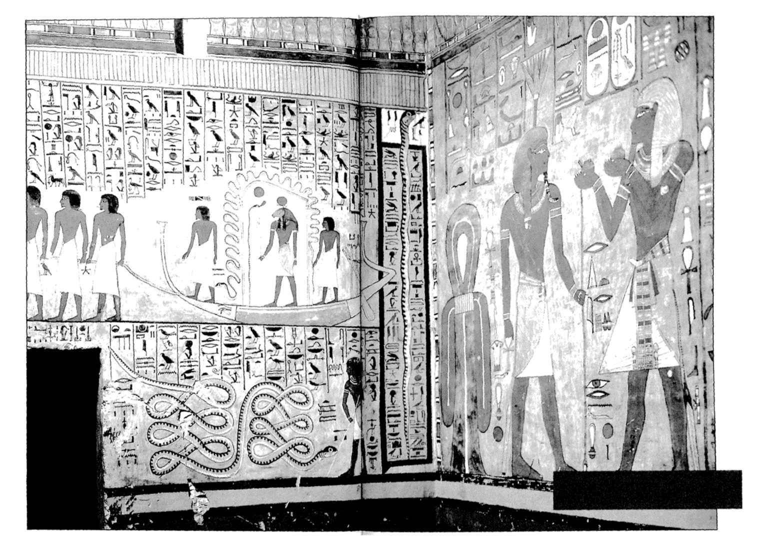


رسم جدارى من حجرة التابوت الحجرى من مقبرة «رمسيس الأول» راكع بين الآلهة حورس وأنوبيس.

كان يتم فيها إعادة تتويج الملك بتاجى الوجهين القبلى والبحرى، كما كانت تُجرى كذلك الاحتفالات الدينية فى جميع المعابد الأخرى بمصر، وكان هذا بمثابة احتفال جماعى فى جميع أرجاء البلد، ودام حُكم «رمسيس» لمدة طويلة جدًّا، إلى حد أنه قام بتكرار هذا الاحتفال بما لا يقل عن ثلاثة عشر مهرجانًا يوبيليًّا آخر.

السنوات الأخيرة

مرّت المرحلة الأخيرة من فترة تولى «رمسيس الثانى» الحُكم دونما أى أحداث كبرى تُذكر، وظل فى كامل نشاطه، بينما كان فى الخمسينيات والستينيات من عمره، غير أنه قد امتد به العمر، بعد وفاة جميع أصدقائه والعديد من زوجاته وأولاده، ويرجَّح أنه كان يشعر بالوحدة إلى حد ما فى السنوات الأخيرة.

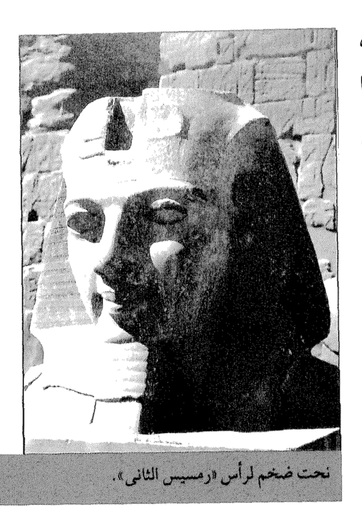


[redacted]

وفى السنة السادسة والستين من توليه الحُكم، وفى سن التاسعة والثمانين أو التسعين من عمره، احتفل «رمسيس» بيوبيله الرابع عشر، وقد أمضى شتاء هذا العام فى قصوره الموجودة فى بر رعمسيس، ومنف، وتُظهر الأدلة الطبية التى خلصت إليها الدراسات التى أجريت على جثمانه، أنه كان يعانى من التهاب شديد فى مِفصلى الوركين، وتصلب فى شرايين أسفل الساقين، مما يجعل من المشى أمرًا بالغ الصعوبة، كما كان يعانى كذلك من تسوس شديد فى الأسنان، وتردى حالة اللثتين، ويرجَّح أنه كان يعانى من ألم دائم فى الأسنان وفى ربيع وصيف سنة 1213ق.م، مكث «رمسيس» فى قصره الموجود فى بر رعمسيس، وأخيرًا وافته المنية فى شهر أغسطس من نفس العام 1213ق.م، وعلى مدار الأربعين يومًا التالية، تم تحنيط جثمانه بعناية، ورافق الملك الجديد «مِرنبتاح» وحاشيته جثمان الملك بينما كان يُبحر فى تؤدةٍ إلى أعالى النيل فى طيبة، ومن ثمَّ، نزل الموكب إلى البر الغربى، وبعد إجراء الطقوس الدينية فى معبده، الرامسيوم، تم حمل جثمان «رمسيس الثانى» إلى وادى الملوك، حيث وضع فى مثواه الأخير بمقبرته.

ويُعد «رمسيس الثانى» أحد الشخصيات الكبرى فى تاريخ مصر، فقد استعاد لمصر قوتها ومجدها فى جميع أنحاء العالم القديم،

وبذلك أتَمّ ما كان جده وأبوه يصبوان إليه، كما قام بترقية العديد من الرجال من ذوى القدرات، وذلك لإدارة نظام شئون الحُكم الذى كان سائدًا فى جميع أنحاء مصر، كما أنه أضاف الكثير من المبانى الجميلة إلى مدن مصر، وفى الحقيقة، لقد قام «رمسيس» بتشييد أو إضافة المزيد من المعابد فى جميع أرجاء مصر والنوبة الجنوبية، أكثر من أى فرعونٍ آخر، وظلت ذكراه حيةً على امتداد تاريخ مصر، وعلى مدار الـ1000 سنة التالية، كانت تُقدم العبادات له ولتمثاله الضخم، بل فى عصرنا هذا مازال اسمه وصورته بيننا، ويُذكر بأنه «رمسيس العظيم».



نحت ضخم لرأس «رمسيس الثانى».

قادة مصر الفرعونية

أحمس

إخناتون
وتوت عنخ آمون

كليوباترا

حتشبسوت

رمسيس الثانى

سنفرو





دار الياس العصرية للطباعة والنشر